سلسلة حديث الأنبياء (8)

نبي الله

سليمان الحكيم

عليه الصلاة والسلام

الأستاذ

إبراهيم أحمد قشطة

رفح - فلسطين

1443هـ- 2021م

المحتويات

المقدمة

هذا كتاب النبي الملك الحكيم سليمان عليه الصلاة والسلام، والذي يروي سيرة سليمان العطرة مع بني إسرائيل حكمًا مقسطًا ونبيًّا كريمًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فصار – عليه الصلاة والسلام – بحق خير مثال لمن وظف سلطانه القوي في نشر التوحيد في أصقاع المعمورة.

وقد اجتهدت في هذا الكتاب أن أبين سيرة هذا النبي الملك الطيبة، وذلك من خلال فصلين:

حيث جاء الفصل الاول (قصة نبي الله سليمان عليه السلام) متحدثًا عن: وراثة سليمان الملك والنبوة من أبيه داود عليهما السلام، كما وعدد الفصل النعم التي أجراها الله تعالى على سليمان، وذكر الفصل فهم سليمان لحديث النملة العجيب لقومها، كما وناقش الفصل ماهية الحكمة وفصل الخطاب اللتين وهبهما الله لسليمان، كما وأشار الفصل إلى قصة بناء سليمان بيت المقدس، وسرد الفصل قصة سليمان مع بلقيس ملكة سبأ سردًا تفصيليًا، كما وناقش الفصل الفتنة التي تعرض لها سليمان، ووضح الفصل التفسير الصحيح لهذه الفتنة، كما وبراء الفصل سليمان من التهمة الباطلة التي ألصقها اليهود به وهي تهمة السحر، كما وحذر الفصل من الإسرائيليات التي ما فتأت إلا أن تشوه قصته العطرة في أكثر من موضع في الكتاب، وأخيرًا خُتم الفصل بخبر وفاة سليمان العجيب.

أما الفصل الثاني **(**الفوائد المستفادة من قصة سليمان عليه السلام**)** تناول أهم الثمار الجلائل المستفادة من قصته العطرة، فصلى الله عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إبراهيم أحمد قشطة

الفصل الأول

قصة نبي الله

سليمان - عليه السلام -

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (ص: ٣٠)

قصة نبي الله سليمان – عليه السلام –

تمهيد:

سليمان – عليه السلام – أحد أنبياء بني إسرائيل الأتقياء الحكماء، وقد ذُكرت قصته في عدة مواضع من القرآن الكريم، في سورة الأنبياء، والنمل، وسبأ، وص.

كما وذكر القرآن الكريم اسمه الشريف في ست عشر آية، في سورة البقرة، والنساء، والأنعام، والأنبياء، والنمل، وسبأ، وص.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ (ص: 30)، وفي هذا الفصل الفريد سنعرف خبر هذا العبد العجيب!!

فصلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وراثة سليمان داود عليهما السلام:

عاش داود – عليه السلام – ما شاء الله له أن يعيش نبيًّا وملكًا في بني إسرائيل، فلما مات داود ورثه ابنه سليمان – عليهما السلام – في الحكمة والنبوة والمُلك، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ (النمل: 16) أي: " ورث (سليمان داود) في النبوة والمُلك، وليس المراد ورثه في المال؛ لأنه قد كان له بنون غيره، فما كان ليخص بالمال دونهم." (ابن كثير: 2002)

كما أن الأنبياء لا يورثون المال، فما يتركونه يكون صدقة، قال صلى الله عليه وسلم: " **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه، ويكون صدقة.**" (رواه ابن كثير في البداية والنهاية: 2002)

قال ابن كثير: " فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمجاويج، لا يخصون بها أقرباءهم؛ لئن الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك، كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم." (ابن كثير: 2002)

الحاصل: ورث سليمان عن أبيه داود النبوة والمُلك، فصار نبيًّا ملكًا، وقام بأعبائهما خير قيام، حيث سار بعدل ورحمة في حكم قومه وحكم غيرهم، كما ونشر الدين والتوحيد بين بني إسرائيل وبين غيرهم، كما سنعرف ذلك بالتفصيل إن شاء الله.

سليمان النبي:

سليمان من كبار أنبياء بني إسرائيل، وقد أرسله الله تعالى إليهم، فاجتهد في دعوتهم اجتهادًا عظيمًا، وكان أول ما دعاهم إليه – كإخوانه من المرسلين – التوحيد، فدعا قومه وغيرهم إليه دعوته قوية مخلصة قولًا وفعلًا.

أولًا: دعوته القولية إلى التوحيد:

لم يحكِ لنا القرآن الكثير عن دعوته القولية إلى التوحيد، لكننا نجزم أنه اجتهد في ذلك اجتهادًا عظيمًا، ومن المناسب هنا نقل بعض من كلامه – عليه السلام – عن التوحيد:

قال سليمان: " أيها الرب إله إسرائيل، لا إله مثلك في السماء والأرض، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم، فالتفت إلى صلاة عبدك، وإلى تضرعه أيها الرب إلهي، واسمع الصراخ والصلاة التي يصليها

عبدك أمامك، واسمع تضرعات عبدك وشعبك إسرائيل الذين يصلون في هذا الموضع، واسمع أنت من موضع سكناك في السماء، وإذا سمعت فاغفر إن أخطأ أحد إلى صاحبه، ووضع عليه حلف ليحلف، وجاء الحلف أمام مذبحك في هذا البيت، فاسمع أنت من السماء، واقض بين عبيدك، إذا تعاقب المذنب فتجعل طريقه على رأسه، وبتر البار إذ تعطيه حسب بره.

وإن انكسر شعبك إسرائيل أمام العدو لكونهم أخطأوا إليك، ثم رجعوا، واعترفوا باسمك، وصلوا وتضرروا أمامك، نحو هذا البيت، فاسمع أنت من السماء، واغفر خطيئة شعبك إسرائيل، وارجعهم إلى الأرض التي أعطيتها لهم ولآبائهم." (محمد هراس)

ثانيًا: دعوته الفعلية إلى التوحيد:

وكما دعا سليمان – عليه السلام – إلى التوحيد بالقول، دعا إليه بالفعل، وأدل دليل على ذلك قصته مع بلقيس، والتي سنخصها بحديث خاص وافٍ إن شاء الله.

وهكذا أكمل سليمان ما أسسه أبوه داود – عليهما السلام – من بناء صرح الوحدانية العظيم، وإفراد الله بالعبادة والتمجيد والتعظيم، لله درهما نبيين كريمين!! وشكر الله سعيهما!! وجزاهما الله عنا خير الجزاء!!

سليمان الملك:

ذكرنا أن سليمان ورث من أبيه مع النبوة المُلك، **فكيف كان مُلكه؟**

كان مُلك سليمان – عليه السلام – مُلكًا عظيمًا باهرًا، لم يدانه فيه أحد لا من قبله ولا من بعده، قال القرطبي: " ولم يبلغ أحد من الأنبياء ما بلغ

مُلكه، فإن الله سبحانه وتعالى سخر له الإنس والجن والطير والوحش، وأتاه ما لم يؤتَ أحدًا من العالمين." (القرطبي: 2002)

ولا عجب أن يكون ملك سليمان هكذا، فهو دعوة استجاب لها ملك الأرض والسموات، حيث قال سليمان: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ (ص: 35) فاستجاب له ربه، فجاء مُلكه مُلكًا فريدًا خارجًا عن الأسباب المألوفة، والأمور المعروفة، فكان هبة ومنة من الملك الوهاب.

والنفس تتوق لمعرفة هذه الأسباب غير المألوفة، والأمور غير المعروفة، التي جعلت مُلكه نسيجًا وحده، فيا ترى ما هذه الأشياء؟!

هذا ما سنعرفه إن شاء الله في النقطة الآتية!!

وقبل أن ننتقل للنقطة التالية، نتوقف يسيًرا مع هذا الإشكال، وهو:

دعوة سليمان: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ (ص: 35) يُشْتم منها رائحة الحسد والبخل بنعم الله على عباده، بما لا يضرّ سليمان، **فكيف استجاز سليمان أن يدعو بذلك؟**

قال الأنصاري: " المراد لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني في حياتي ....، أو: أن الله عَلِمَ أنه لا يقوم غيره مقامه بمصالح ذلك المكان، واقتضت حكمته تخصيصه به، فألهمه سؤاله." (زكريا الأنصاري: 2003)

على كل حال وصلنا للنقطة التالية، التي ستخبرنا عن الأسباب التي جعلت مُلك سليمان نسيجًا وحده، وهي:

نعم الله تعالى على عبده سليمان:

أكرم الله سبحانه عبده سليمان بن داود – عليهما السلام – بنعم كثيرة، وخصّه بمزايا فريدة، كانت عنوانًا للعظمة والمجد والأبهة في الدنيا، والعزة والسمو والرفعة في الآخرة.

وقد قال سليمان تحدثًا بتلك النعم إجمالًا: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ١٦) فالنون في كلمة ﴿وَأُوتِينَا﴾ هي نون الجمع وهي نون العظمة، وذلك لمراعاة النعم الباهرة والمزايا الفريدة التي خُصّ بها، ولعلك الآن تشوقت لمعرفتها، فها هي **هذه النعم الباهرة والمزايا الفريدة التي خصّ الله بها على عبده سليمان:**

أول هذه النعم: وراثته الملك والنبوة عن أبيه داود عليهما السلام:

فقد جمع الله له بين شرفي الدنيا والآخرة، كما جمعهما لأبيه من قبله، قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ (النمل: 16) فأنعم بها من مزية عظيمة!!

ثانيها: معرفة منطق الطير وجميع لغات الحيوانات:

فقد كان – عليه السلام – يفهم من منطق الطير والحيوانات ما لا يفهمه غيره من سائر الناس، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ (النمل: 16) أي: " قال سليمان تحدثًا بنعمة الله: يا أيها الناس، لقد أكرمنا الله فعلمنا منطق الطير وأصوات جميع الحيوانات." (محمد الصابوني)

ومن أمثلة معرفة سليمان بمنطق الطير والحيوان، ما ذكره تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ (النمل: ١٨ – ١٩) فسليمان – عليه السلام – فهم ما خاطبت به تلك النملة قومها من النمل من الرأي السديد والأمر الحميد.

وكما كان يفهم سليمان منطق الطير والحيوانات، كان أحيانًا يتحدث معها وتجيبه، ومن ذلك حديثه العجيب مع الهدهد، والذي سنعرضه لاحقًا إن شاء الله.

ثالثها: تفضّل الله تعالى عليه بالحكمة وفصل الخطاب:

وهذه النعمة سنتحدث عنها بالتفصيل عند الحديث عن حكمة سليمان، إن شاء الله.

رابعها: تسخير الريح له حسب ما يشاء:

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞ﴾ (سبأ: 12) أي: " سخر الله له الريح تجري بأمره وتحمله، وتحمل جميع ما معه، وتقطع المسافة البعيدة جدًّا في مدة يسيرة." (عبد الرحمن السعدي: 2000)

والمعنى: " أنها تقطع به من الصباح إلى الظهر مسيرة شهر، ومن الظهر إلى المساء مسيرة شهر، فتقطع به من النهار الواحد مسيرة شهرين." (محمد الصابوني)

ما أنواع الريح التي سخرت لسليمان؟

سخر الله لسليمان نوعان من الريح، هما: الريح العاصف، والريح الرخاء.

أما الريح الأولى: الريح العاصف: فهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ (الأنبياء: ٨١) أي: " وسخرنا لسليمان الريح العاصفة أي شديدة الهبوب." (محمد الصابوني)

أما الريح الثانية: الريح الرخاء: هي ما ذكره تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ (ص: ٣٦) أي: ذللنا له الريح الرخاء وهي الريح اللينة الطيبة التي تسير حيث شاء سليمان وأراد.

خامسها: تسخير الله له الجنّ ومردة الشياطين:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ (سبأ: 12) أي: سخر الله لسليمان الجن تعمل بأمره ما أراده سليمان، مما يعجز عن عمله البشر.

فيا ترى ما هذه الأعمال الخوارق التي يعجز عنها البشر؟

قصّ علينا القرآن بعضًا منها: قال تعالى: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ (سبأ: 13) أي: يبنون لسليمان ما أراد من القصور الشوامخ العاليات.

وكانوا ينحتون له التماثيل العجيبة ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ (سبأ: 13)

تساؤل: التماثيل محرم اتخذها، فكيف جاز لسليمان نحتها واتخذها؟

قال الحسن: " لم تكن يومئذ محرمة، وقد حرمت في شريعتنا سدًّا للذريعة؛ لئلا تعبد من دون الله." (محمد الصابوني)

وقال الانصاري: " ويجوز (أنها كانت) غير صور الحيوان، وهو جائز في شريعتنا أيضًا." (زكريا الأنصاري: 2003)

وكانوا يعملون له: ﴿وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ﴾ (سبأ: 13) أي: قصاع ضخمة تشبه الأحواض، قال ابن عباس: " كالجواب، أي: كالحياض." (محمد الصابوني)

وكانوا يصنعون أيضًا: ﴿وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍ﴾ (سبأ: 13) أي: قدور ثابتة متزنة، لا تتحرك يمنة ولا يسرة، ولا تتحول عن مكانها قدر أنملة؛ وذلك لعظمتها وضخامتها.

وأخيرًا وليس بآخر كانوا يغصون له في قاع البحار والمحيطات، ويمخرون عبابها لاستخراج الجواهر النفيسة كاللؤلؤ والمرجان، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ﴾ (ص: 37) أي: سخر الله لسليمان الشياطين

تبني له القصور المنيعة الرفيعة، وتغوص في البحار والمحيطات لاستخراج اللآلئ النفيسة الثمينة.

الحاصل: سخر الله لسليمان الجن ومردة الشياطين، يعملون له أعمالًا يعجز عنها البشر، نحو: بناء صروح عجيبة منيعة، وإنشاء قدور ضخمة راسية متزنة، وجفان تشبه الأحواض بشكل هندسي بديع فريد، وأخير الغوص في قاع البحار والمحيطات؛ لاستخراج كنوزها الثمينة النفيسة، وكانت هذه الأعمال تحدث تحت مشيئة الله وأمره؛ لذا جاءت مبهرة متقنة!!

ولما كانت الجن وخاصة المردة منهم كثيري اللجاج والشغب، كانت سلطة سليمان على هؤلاء الجن والشياطين سلطة مطلقة، فمن يعدل منهم عما أمروا به من طاعة سليمان، يكون عقابه النار المستعرة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (سبأ: 12)

وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ (ص: 38) أي: وفريق آخر من الشياطين – وهم مردتهم – موثوقون في الأغلال، ومقيدون بالسلاسل والأحبال لكفرهم، وتمردهم على طاعة سليمان.

هل سُخرت الجن والشياطين بهذا الشكل لأحد قبل سليمان؟

قال الصابوني: " لم يكن هذا التسخير لأحد من الأنبياء غير سليمان عليه السلام، وذلك غاية العظمة، ونهاية المُلك والسلطان لملوك الدنيا، فلم ينل أحد من الملوك ما ناله نبي الله سليمان عليه السلام، يروي الأمام البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إن عفريتًا من الجنّ تفلت علي البارحة؛ ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته**

فأردتُ أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان " وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي، فرددته خاسئًا." (رواه البخاري: 4808)" (محمد الصابوني)

سادسها: إسالة الله لسليمان عين القطر:

قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ (سبأ: 12) أي: وأذبنا لسليمان – عليه السلام – النحاس حتى صار كأنه عين تتدفق نحاسًا مذابًا.

والمعنى: وقد سهل الله لسليمان استعمال هذا النحاس المذاب، فصنع منه ما يشاء من أسلحة، وبنايات وأواني وغيرها.

أين كانت هذه العين العجيبة؟

قال قتادة: " كانت باليمن أنبعها الله له." (ابن كثير: 2002)

وقال الصابوني: " ويقول بعض العلماء: لعل ذلك كان في أرض بركانية." (محمد الصابوني)

وهل كانت دائمة مستمرة؟

قال السدي: " (أنبعها الله له) ثلاثة أيام فقط أخذ منها جميع ما يحتاج إليه من البنايات وغيرها." (ابن كثير: 2002)

والإجابة عن هذين السؤالين يحتاج لدليل شرعي صحيح؛ لذا الصواب أن يقال: الله أعلم بمكانها وماهيتها ومدتها.

على كل حال لا نشك في أن إسالة عين القطر كانت معجزة باهرة وخصيصة فريدة لسليمان، قال الصابوني: "وهذه الإسالة من خصوصيات سليمان عليه السلام، كما ألان الله لأبيه الحديد." (محمد الصابوني)

سابعها: قوام جيشه كان خليطًا عجيبًا من الإنس والجنّ والطير:

كان قوام جيش سليمان خليطًا عجيبًا، حيث كان من الإنس والجن والطير، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ (النمل: 17) أي: جمعت لسليمان طوائف متنوعة لجيوشه من الجن والإنس والطير.

وليس العجب وحده في تعدد نوعية أفراد هذا الجيش وضخامته، بل العجب أيضًا، وربما أكثر في حسن تنظيمه أيما تنظيم في الحل والترحال، وهذا الذي يفهم من كلمة (حُشِرَ)، ومن قوله أيضًا: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (النمل: ١٧) أي: كانت هذه الجنود على كثرتها وتنوعها مؤتمرة بأمره، لا تقدر على مخالفة أمر من أوامر سليمان، وهذا وإن دلّ دلّ على حسن السمع والطاعة، وبالضرورة على النظام والانضباط.

هذه بعض من المزايا التي خُصّ بها سليمان عليه السلام، ولما كانت هذه النعم والمزايا من الخوارق العجيبة والمعجزات الفريدة، وجب شُكْر مسديها، فأرشد الله – سبحانه – بلطفه وكرمه عبده سليمان إلى شكرها، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ (سبأ: 13) أي: قلنا إرشادًا وتوجيهًا لآل داود أن اشكروا الله على نعمه الجليلة وآلائه الجزيلة، واعملوا بطاعة الله شُكْرًا لله العظيم على ما أعطاكم، فأكثر الناس غير شاكرين الله.

قال ابن عطية: " وفيه تنبيه وتحريض على شكر الله." (محمد الصابوني)

فائدة: ما المقصود بالشكر؟

قال السعدي: " الشكر اعتراف القلب بمنة الله تعالى، وتلقيها افتقارًا إليها، وصرفها في طاعة الله تعالى، وصونها عن صرفها في المعصية." (عبد الرحمن السعدي: 2000)

سليمان والنملة:

مرّ معنا أن من المزايا التي تميز بها سليمان – عليه السلام – معرفته منطق الطير وجميع لغات الحيوان، ومن ذلك فهمه لحديث النملة العجيب مع قومها، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ (النمل: ١٨ – ١٩)

فهاتان الآيتان الكريمتان تُحدّثنا بما قالته النملة لقومها عندما قَرُبَ سليمان وجنده من الوادي الذي كان به كثير النمل، حيث خاطبت إحدى النملات قومها: ادخلوا بيوتكم، حتى لا يكسرنكم سليمان وجيشه وهم لا يشعرون بوجودكم، فلما سمع سليمان مقالتها، وفهم مرادها، تبسم مسرورًا؛ لأنه استطاع أن يفهمه، وعندها وجب الشكر لمسديه له، فشكر الله قائلًا: ربّ ألهمني ووفقني لشُكْرِ نعمائك علي وعلى أبويّ من قبل، ووفقني أن اعمل الخير الذي يقربني إليك، وأدخلني في مستقر رحمتك (جنتك) مع عبادك الصالحين.

وفي خبر سليمان العجيب مع النملة ترد تساؤلات مهمة، وهي:

1. ما سرّ تبسم سليمان من قول هذه النملة؟

قال ابن كثير: " وتبسم (سليمان) من ذلك (كان) على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره، وليس كما يقول بعض الجهلة من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان، وتخاطب الناس حتى أخذ عليهم سليمان بن داود العهد، وألجمها، فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك، فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون." (ابن كثير: 2002)

وقيل: تبسم سليمان لأنه استطاع أن يفهم ثناء النملة عليه وعلى جنده، وذلك عندما قالت: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (النمل:18)

2. لِمَ لَمْ يضحك سليمان، واكتفى بالتبسم فقط؟

قال السعدي: " وهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الادب الكامل، والتعجب في موضعه، وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – جُلّ ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوءِ الأدب، وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه، يدل على شراسة الخُلق والجبروت، والرسل منزهون عن ذلك." (عبد الرحمن السعدي: 2000)

3. لِمَ قال سليمان: ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ (النمل: ١٩)؟

قال سليمان ذلك؛ لئن حديثه كان عن شُكْرِ نعم الله عليه، ومن شُكْر النعمة توظيفها في عمل الخير.

4. كيف خاطبت النملة قومها مخاطبة العقلاء حيث قالت: (ادخلوا) ولا يصح ذلك إلا لجمع العقلاء من بني آدم، أو الجن أو الملائكة، أما غيرهم لا يصح ؟

قال الصابوني: " خاطبتهم مخاطبة العقلاء؛ لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء." (محمد الصابوني)

5. هل استجاب الله تعالى دعاء سليمان؟

نعم، استجاب الله دعاءه، قال ابن كثير: " فطلب من الله أن يقبضه للشكر على ما أنعم به عليه، وعلى ما خصه به من المزية على غيره، وأن ييسر عليه العمل الصالح، وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين، وقد استجاب الله له." (ابن كثير: 2002)

6. كيف كان سليمان – عليه السلام – يفهم لغات الحيوان؟

الذي يبدو أنه كان يفهم لغات الحيوان إلهامًا من الله سبحانه.

ونختم حديثنا عن خبر سليمان والنملة بهذه اللطيفة البلاغية:

لطيفة بلاغية: قال الدرويش: " وقد شملت هذه الآية على أحد عشر نوعًا من البلاغة، يتولد بعضها من بعض، وقد ذكرها السيوطي في كتابه (الإتقان) أي: قالت قولًا مشتملًا على حروف وأصوات، والمراد: قالته على وجه النصيحة، وقد اشتمل هذا القول منها على أحد عشر نوعًا من البلاغة:

أولها: النداء بـ (يا).

ثانيها: كنّت بـ (أي).

ثالثها: نبهت بـ (ها) التنبيه.

ورابعها: سمت بقولها: النمل.

وخامسها: أمرت بقولها: ادخلوا.

وسادسها: نصت بقولها: مساكنكم.

وسابعها: حذرت بقولها: لا يحطمنكم.

وثامنها: خصّصت بقولها: سليمان.

وتاسعها: عمّمت بقولها: وجنوده.

وحادي عشرها: عذرت بقولها: لا يشعرون. (محيي الدين الدرويش: 2001)

وأخيرًا: سميت سورة النمل بهذا الاسم؛ لئن الله تعالى ذكر فيها قصة هذه النملة العجيبة مع سليمان عليه السلام.

وتأمل – رحمك الله – كيف خلد الله ذكر هذه النملة في كتابه المقدس الشريف؛ وذلك جزاء لها لمّا أهمّها أمر قومها، وتخلصت من الذات والأنا، وفكرت لجماعتها، فكان جزاؤها أن تذكر دومًا في القرآن الكريم جزاء وفاقًا!

حكمة سليمان:

كان سليمان – عليه السلام – ذا فطنة وذكاء، وقد أثنى الله عليه وعلى أبيه داود – عليهما السلام – بهذا، حيث قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ (الأنبياء: 78 – 79)

فهاتان الآيتان الشريفتان تحكى لنا جانبًا مضيئًا من جوانب حكمة سليمان وفطنته وحسن قضائه، حيث قال المفسرون: " إنّ زرعًا دخلت فيه غنم لقوم ليلًا فأكلته وأفسدته، فجاء المتخاصمون إلى داود وعنده سليمان، وقصوا عليه القصة، فحكم داود بالغنم لصاحب الزرع عوضًا عن حرثه (زرعه) الذي أتلفته الغنم ليلًا، فقال سليمان: غير هذا أرفق، تدفع الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بألبانها وأولادها وأشعرها، وتدفع الحرث إلى أهل الغنم يقومون بإصلاحه حتى يعود كما كان، ثم يترادّان بعد ذلك، فيعود لأهل الغنم غنمهم، ولأهل الحرث حرثهم." (محمد الصابوني)

وقد استدل بعض العلماء بهذه القصة على تفوق سليمان على أبيه داود – عليهما السلام – في الحكم والقضاء، حتى أنه قد نقل القرطبي ما يلي: " أن داود لم يصب العين المطلوبة في هذه النازلة، وإنما مدحه الله بأن له حكمًا وعلمًا يرجع إليه في غير هذه النازلة، وأما في هذه فأصاب سليمان وأخطأ داود عليهما السلام، ولا يمتنع وجود الغلط والخطأ من الأنبياء

كوجوده في غيرهم، لكن لا يقرون عليه، وإن أقرّ عليه غيرهم." (القرطبي: 2002)

فهل فعلًا تفوق سليمان على أبيه داود في ذلك؟

يذكر كثير من العلماء: أن سليمان قد خصّ بزيادة في الحكمة، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾ (الأنبياء: 79)، كما واستدلوا بقصتين: القصة الأولى: قصة الغنم التي نفشت في الزرع، وأما القصة الثانية: قصة الأختين اللتين تنازعتا في الغلام.

بينما يرى آخرون: أنه لا يصح في الأساس الموازنة بين الأنبياء في صفة من الصفات، وإذا أردنا أن نوازن بين نبيين نوازن بين موقف وموقف، مع مراعاة الظروف التي أحاطت بكل نبي في هذا الموقف؛ لذا لا يصح الموازنة بين داود وسليمان في أيهما أعلم وأحكم، **وهذا هو الصواب أن شاء الله للأسباب الآتية:**

أولًا: قوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾ (الأنبياء: 79) لا يدل على تفوق سليمان على أبيه داود في العلم والقضاء، نعم الآية خصّت سليمان بالفهم والحكمة، ولكن لا يعني ذلك اختصاصه بهذه الصفات دون غيره، ولا تعني أن داود بخلافه، فكما معلوم أن دليل الخطاب في اللقب لا يقيد بإجماع المحققين.

وقد تأول بعض العلماء قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾ (الأنبياء: 79) على أنه فضيلة راجعة لداود حيث أن الولد سرّ أبيه، وفضل الولد يسر أبوه، هذا إن سلمنا جدلًا أن سليمان قد زاد على أبيه في هذه الصفات.

ثانيًا: قضية الغنم لا تدل على ما ذهبوا إليه في تفوق سليمان على داود، فداود نبي كريم، ووصفه بأنه قد جهل الحكم الصحيح، وأنه أخطأ في القضاء، لا يليق بالقضاة العاديين، فما ظنك بالأنبياء العالمين؟

لذا الصواب أن يقال: إن حكم داود في هذه القضية كان قضاءً صحيحًا، **فكيف هذا؟!**

ذكر فريق من العلماء المحققين أوجه تدل على صحة تأويل قضاء داود السابق، منها:

- كان داود متوقفًا، لتعارض الأمارات (العلامات)، بينما سليمان لم يكن كذلك، بل كانت الأمارات أمامه واضحة جلية، فأصدر حكمه بناء على هذه الأمارات.
- كان داود عالمًا بالحكم، لكنه افتى بذلك امتحانًا لابنه سليمان رجاء أن يفتي به ويستخرج حكمه، ويبدو أن هذا الوجه بعيد، فمن أين لنا أن نعرف أن داود كان يقصد هذا؟
- " ولعل كلا الحكمين كان سائغًا في شريعتهم، ولكن ما قاله سليمان أرجح، ولهذا أثنى الله عليه بما ألهمه إياه، ومدح بعد ذلك أباه، فقال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝٧٩ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ۝٨٠﴾ (الأنبياء: 79 – 80)" (ابن كثير: 2002)
- داود لم يخطئ في هذه القضية أساسًا، بل وأُتي فيها الصواب، فقد وافق حكمه مذهبًا فقهيًا من مذاهب شريعتنا الغراء، ففي مذهب

الإمام أبي حنيفة: إن العبد إذا جنى على نفس ما، الذي يتحمل جنايته هو مولاه (سيده) أو يفديه، وعند الشافعية: يبيعه في ذلك أو يفديه، وهذا ما تأوله داود - عليه السلام - حيث لما وقع الضرر من الغنم سلمها بسبب جنايتها إلى المجني عليه.

الحاصل: إن داود لم يخطئ في هذه القضية، وأفضل دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء: 79) فبين الله سبحانه أن كل من داود وسليمان قد أعطاهما العلم والحكمة مع النبوة؛ لئلا يُظن أحد أن داود كان جاهلًا بالحكم الصحيح، وأنه قد حكم فيه بغير صواب، وتأمل ذكر سبحانه بعد ذلك فضائل داود في هذا الموضع بالذات؛ ليؤكد على أن داود لم يكن جاهلًا بالحكم الصحيح، أو أنه قد حكم فيه بغير صواب، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (الأنبياء: 79 - 80)!!

ثالثًا: قصة الأختين: لا تدل - هي أيضًا - على ما ذهبوا إليه في تفوق سليمان على داود، وتفصيل القصة كالآتي:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **بينما امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب، فذهب بابن أحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه، فقال:**

ائتوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى." (رواه مسلم: 172)

فاستدل بعض العلماء بظاهر الحديث، وقالوا: إن سليمان أصاب، بينما أخطأ داود عليهما السلام، ولكننا إذا تمعن في الحديث ظهر لنا خلاف ذلك، فداود لم يخطئ في حكمه، وها هي الأدلة على ذلك:

- داود رأى استواءهما في اليد، فقدم الكبرى لأجل السن، وكلاهما قد حكما بالاجتهاد، قال السعدي: " لما داود لم ير لكل منهما بينة إلا قولها رأى أن يحكم به للكبرى اجتهادًا ورحمة بها لكبرها، وأن الكبرى في مستقبل عمرها، وسيرزقها الله ولدًا بدله." (عبد الرحمن السعدي: 2002)

وهذا التأويل – بالرغم من جلالة منقال به – إلا إنه بعيد؛ لأنه فيه ظلم للصغرى، فما ذنبها حتى يأخذ منها طفلها لكونها الصغيرة؟ وهل الصغيرة مقطوع بأنها ستنجب بينما الكبيرة لا تنجب؟!

- بينما علل النووي قضاء داود بما يلي: " يحتمل أن داود – صلى الله عليه وسلم – قضى للكبرى لشبه رآه فيها، أو أنه كان في شريعته الترجيح بالكبير، أو لكونه في يدها، وكان ذلك مرجحًا في شرعه." (النووي:1929)

في النهاية نقول: لا يمنع إثبات عدم خطأ داود في القضيتين من إثبات حكمة زائدة لسليمان، حيث كان حكم سليمان وقضاؤه في قضية الغنم أرفق بالجميع، وحكمه وقضاؤه في قضية الأختين حكم قد سلك فيه طريقة الحيلة الجائزة للوصول للحكم المناسب.

وأخيرًا نختم هذه النقطة بهذه التساؤلات:

1. قال تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾ (الأنبياء: 78) جاءت جملة (حُكمهم) بصيغة الجمع، بالرغم من أن المخاطب هما اثنان، **فما السرّ في ذلك؟**

السرّ في ذلك: أن القرآن يأتي بصيغة الجمع ويراد بها التثنية.

2. **هل كان حكمهما – عليهما السلام – في القضيتين وحيًا أم اجتهادًا؟**

اختلف العلماء في ذلك على قولين: **القول الأول:** " حَكَمَ داود بوحي، وحكم سليمان بوحي نسخ الله به حكم داود." (القرطبي: 2002)

القول الثاني: وهو قول الجمهور، وهو الصواب إن شاء الله، " إن حكمهما كان باجتهاد." (القرطبي: 2002)

3. **كيف استجاز سليمان أن يحكم في قضية قضى فيها أبوه بحكم، ونقضه؟**

قال النووي: " الجواب من أوجه مذكورة: أحدهما: أن داود لم يكن حزم بالحكم، والثاني: أن ذلك فتوى من داود وليس حكمًا، والثالث: لعله كان في شرعهم نسخ الحكم إذا رفعه الخصم إلى حاكم آخر يرى خلافه." (النووي: 1929)

بناء بيت المقدس:

بداية: ما المقصود ببيت المقدس؟ وما سبب هذه التسمية؟

بيت المقدس: يطلق على المسجد الأقصى، ويطلق على المدينة التي يوجد فيها المسجد، وهي مدينة القدس.

وأما سبب تسمية المسجد الأقصى أو المدينة التي يقع فيها المسجد باسم بيت المقدس؛ لعلو قدر المسجد والمدينة عند الله وارتفاع شأنهما، وتقديسهما.

مراحل بناء بيت المقدس (المسجد الأقصى):

مر بيت المقدس (المسجد الأقصى) بمراحل بناء أربع، **وهي:**

مرحلة البناء الأولى:

وهي التي تمت في عهد النبي الملك سليمان، حيث بنى سليمان – عليه السلام – المسجد الأقصى بناء تأسيس وإنشاء، وهذا هو البناء الاول للمسجد الأقصى، وهو الذي أشار إليه حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – والذي رواه أبو ذر، قال: " **قلت يا رسول الله, أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام, قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى, قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون, ثم قال: حيثما أدركت الصلاة فصلِّ, والأرض لك مسجد.**" (رواه البخاري: (3425), ومسلم: (520))

فالذي بنى المسجد الأقصى في هذه المرحلة هو سليمان عليه السلام، ويرد على ذلك إشكال، وهو: إذا كان سليمان هو الذي بنى المسجد الأقصى، وكما هو معروف أن إبراهيم هو الذي بنى المسجد الحرام، فكيف كان بين بنائهما أربعون عامًا؟ وبين النبيين الكريمين أكثر من ذلك بكثير؟

أحسن ما قيل في ذلك: أن أدم – عليه السلام – هو الذي وضع أساس البيتين (المسجد الحرام والأقصى)، وبناءً على ذلك لا إشكال في كونه بين بنائهما أربعين عامًا، وأما كون إبراهيم وسليمان هما اللذان بنيا المسجدين بالرغم من أن الذي وضع أساسهما آدم لا إشكال فيه أيضاً، حيث إن آدم واضع الأساس لا أكثر من ذلك، ولا يسمى واضع الأساس صاحب البناء الحقيقي، بينما صاحب البناء الحقيقي هو مَنْ رفعه حتى صار ظاهرًا، وعليه يكون صاحب البناء الحقيقي للمسجد الحرام والأقصى هما إبراهيم وسليمان عليهما السلام، بيد أنهما رفعا البناء على الأساس الذي وضعه آدم عليه السلام.

مرحلة البناء الثانية:

وهي التي تمت – أيضًا – في عهد سليمان، وهي التي أشار إليها الحديث: " **لما فرغ سيلمان بن داود من بناء بيت المقدس (أي المسجد الأقصى) سأل الله ثلاثًا: حُكمًا يصادف حُكمه، ومُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما اثنتان فقد أُعطيهما، وأرجو أن يكون أُعطي الثالثة.**" (رواه النسائي: (693)، وابن ماجه: (1408) واللفظ له، وأحمد: (6644))

ما الفرق بين بناء سليمان في المرحلتين:

بناء سليمان كان في المرحلة الأولى بناء تأسيس أي: عبارة عن إقامة قواعد المسجد التي كانت أساساته موجودة من لدن آدم، أما بناؤه في المرحلة الثانية: كان بناء تجديد وتوسعة وإعداد للعبادة، والله أعلم.

مرحلة البناء الثالثة:

وهي التي تمت في عهد عمر بن الخطاب بعد فتح القدس، فقد ذُكر إن المسجد الأقصى كان خرابًا إبان فتح المسلمين للقدس؛ وذلك لتسلط الرومان عليه، والذي حمل الرومان على تخريب المسجد الأقصى ضغائنهم لليهود، وكأن تخريبهم له كان نكاية في اليهود، وكان بناء عمر بن الخطاب للمسجد الأقصى في ذلك الزمان بناءً بسيطًا بمواد بسيطة كحال أيامهم تلك.

مرحلة البناء الرابعة:

وهي التي تمت في عهد الدولة الأموية، حيث أعيد البناء بمواد أيامهم من الطين ونحوه، وفي هذه المرحلة أخذ المسجد شكله الحالي الذي نراه اليوم، ومن ذلك الوقت وقد عنى به المسلمون من خلفاء وأمراء وأغنياء بتحسين بنائه على امتداد التاريخ.

نسأل الله أن يفك قيده من أسر اليهود المغتصبين.

قصة سليمان مع بلقيس:

قصّ الله علينا في القرآن الكريم خبر سليمان مع بلقيس، فمن بلقيس هذه؟ بلقيس هي ملكة سبأ.

وهل صحيح أن اسمها الحقيقي هو بلقيس؟ وردت آثار موقوفة ومقطوعة تذكر أن اسم ملكة سبأ هو بلقيس، ومن ذلك:

ما رواه الإمام ابن أبي شيبة بسنده عن ابن عباس: قال: اسمها بلقيس بنت ذي شيره، وروى الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن الحسن عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ (النمل: 23) هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ.

ومثل هذه الآثار تكفي لإطلاق اسم بلقيس على ملكة سبأ، حيث أن الأمر في ذلك واسع سهل، والله أعلم.

على كل حال قصة سليمان مع بلقيس قصة بديعة نافعة للملوك والعظماء، وفيها بيان واضح لسعة ملك سليمان وأبهة سلطانه، حيث امتد سلطانه من فلسطين وبلاد الشام إلى أقاصي اليمين جنوبًا، مرورًا بالعديد من البلدان والأمصار شرقًا وغربًا، ولم يكن هذا السلطان سلطانًا ظاهريًا، وإنما كان سلطانه سلطانًا حقيقيًا دانت له هذه الأمصار والبلدان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تبين لنا هذه القصة اجتهاد سليمان العظيم الجاد في نشر التوحيد، التوحيد الذي كان قد أسسه قبله أبوه داود عليهما السلام، فلم يترك سليمان بلدًا ولا مصرًا إلا ودعا أهلها إلى التوحيد، ومن لم يحبه كان السيف هو الحكم الفصل، فانتشر التوحيد في أصقاع الأرض، وعمّ أرجاءها.

وتبدأ هذه القصة بفقدان سليمان – عليه السلام – الهدهد، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ (النمل: ٢٠) أي: أخذ سليمان – عليه السلام – يفتش في جماعة الطير، ويبحث فيها، فلم يجد الهدهد، فتساءل: ما لي لا أرى الهدهد؟!

فلِمَ افتقد سليمان ذلك الهدهد؟

يذكر المفسرون: أن هذا الهدهد كانت وظيفته في جيش سليمان الدلالة على وجود الماء، وقد صادف أن الجيش قد عطش، فسألوا سليمان السقيا، عندها طلب سليمان الهدهد فلم يجده فافتقده، وهذا الكلام يبدو أنه مأخوذ من الإسرائيليات المكذوبة.

قال السعدي: " وليس الأمر كما يقول كثير من المفسرين: أنه طلبه لينظر له الأرض وبعد مائها، فإن هذا خلاف اللفظ القرآني، فإن الله لم يقل: وطلب الهدهد، بل قال: وتفقد الطير." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٢)

لذا الصحيح – إن شاء الله – في سبب افتقاد سليمان الهدهد هو: أن هذا الهدهد لم يكن هدهدًا عاديًا، إنما كان هدهدًا معينًا خاصًا، بدليل جاء ذكره في القرآن معرفًا، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ (النمل: ٢٥)

وفي افتقد سليمان الهدهد نلمس صفة قيادية فذة في سليمان، وهي حسن التفقد لجنده، ففي قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ (النمل: ٢٥) تلمس تصويرًا بارعًا رائعًا، يشعرك بنبي الله سليمان وهو شديد التفقد لأحوال رعيته، حتى أنه كان يبحث ويفتش عن طائر صغير وهو الهدهد.

لله درك يا سليمان حكيمًا حازمًا مهتما بأمر جيشك!!

حتى أنك لاحظت غياب هذا الجندي الصغير من بين جيشك الكبير!!

فقلت مقولة الأذكياء العقلاء: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ (النمل: ٢٥)!!

وتأمل: لَمْ يقل سليمان: لِمَ الهدهد غائب؟ بل قال: ما لي لا أرى الهدهد:

وهذا إن دلّ دلّ على كمال عقله، ورجاحة فكره، فلم يعجل بعدم وجود الهدهد، فربما كان الهدهد موجودًا في مكان آخر لكن سليمان لم يره فيه،

وربما كان الهدهد في موقعه غير أن نظر سليمان قد أخطأه؛ لذا لم يجزم بغياب الهدهد، بل أرجع الأمر إلى أنه لا يراه.

على كل حال بعدما قال سليمان: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ (النمل: ٢٠) يبدو أنه قد أمعن النظر، وزاد في التنقيب والتبصر، حتى جزم بغياب الهدهد وعدم وجوده، فقال: ﴿أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ (النمل : ٢٠) وأم هنا منقطعة، والمعنى بل هو غائب.

وتأمل كيف بدأ سليمان – عليه السلام – في اتهم نفسه أولًا، حيث قال: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ (النمل: ٢٠)، ثم انتهى باتهام الهدهد، فقال: ﴿أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ (النمل : ٢٠)، وفي هذا إشارة لطيفة إلى خلق عظيم سامٍ، وهو: ما ينبغي أن يترك الإنسان المؤمن احتمالًا – ولو بسيطًا – لإدانة نفسه، قبل إدانة غيره.

الحاصل: أن سليمان جزم بغياب الهدهد بدون إذن، فعدّ سليمان ذلك الصنيع جرمًا خطيرًا من هذا الجندي؛ لذا هدده – وهو غائب – أمام جيشه، قائلًا: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ (النمل: ٢١) أي: لأعاقبنه عقابًا أليمًا أو لأذبحنه.

وتأمل معي الصفة القيادية الثانية لسليمان، وهي الحزم:

فقد توعد سليمان الهدهد بهذا الوعيد الشديد بالرغم من أن جرمه قد لا يرقي إلى حجم هذا الوعيد؛ لأنه في صنيع هذا الهدهد – وإن كان بسيطًا – ما قد يخل بالنظام العسكري لجيش سليمان، وإن تهاون سليمان في إيقاف مثل هذه التجاوزات البسيطة، ستتحول إلى خروقات خطيرة قد تهدد نظام

الجيش وانضباطه كله للخطر والزوال، فكان من الحزم أن يعلن سليمان أمام جيشه الكبير هذا الوعيد الشديد، لله درك يا سليمان حكيماً!!

إشكال: كيف استجاز سليمان أن يتوعد الهدهد بذلك مع أن الهدهد غير مكلف؟!

قال الأنصاري: " توعد سليمان الهدهد بذلك، مع أنه غير مكلف، بيانًا لكونه خُصّ بذلك، كما خُصّ بتعلم منطقه." (زكريا الأنصاري: 2003)

ولما كان ملك سليمان قائمًا على كمال العدل، استثنى – عليه السلام – وقال: ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ (النمل:٢١) أي: سأصرف عنه ذلك العذاب والذبح في حال إتيانه بحجة قاطعة معذرة توضح سبب غيابه.

وتأمل حسن التدرج في العقوبة التي توعد بها سليمان الهدهد، حيث بدأ بالأشد إلى الخف وانتهاء بالعفو التام، فمن العذاب الشديد إلى الذبح إلى العفو الشامل التام إذا جاء بسلطان مبين، وفي ذلك دليل على كمال إيمان سليمان وصدقه، حيث لم يترك نفسه للانفعال الشديد، حتى يهدأ ويصل إلى العفو السديد!

وفي هذا التصرف من سليمان تعليم للناس ما يحب أن يكون عليه العبد خاصة المسلم، لا يدع انفعاله يتحكم فيه بطريقة هوجاء، بل هو الذي يتحكم فيه؛ ليصل إلى العفو الكريم، عفو القادر على إيقاع العقوبة، لله دره نبيًّا كريمًا عفوًا!!

تساؤل: كيف صح لسليمان أن يحلف على أحد ثلاثة أشياء معًا: تعذيب الهدهد، وذبحه، وصرف ذلك عند الإتيان بالعذر؟!

قال الزمخشري: " لما نظم الثلاثة بأمر في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قولك ليكونن أحد الأمور، يعني: إن كان الإتيان بسلطان لم يكن تعذيب، وذبح، وإن لم يكن كان أحدهما." (محمد الصابوني)

تساؤل آخر: من أين درى سليمان أن الهدهد سيأتيه بسلطان حتى يقول: ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ **(النمل: ٢١)؟**

سليمان – عليه السلام – حكم على الهدهد إن لم يأتِه بسلطان وقع التعذيب أو الذبح، وليس في هذا الحكم ادعاء أو دراية بأنه سيأتيه بالسلطان، كل ما في الأمر أنه علق ذلك الحكم عليه إن وقع منه دونما أن يعتقد حصوله منه.

ونمضي مع هذه القصة الشيقة، لم يطل غياب الهدهد، بل ظهر بعد زمن يسير، قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ (النمل: ٢٢) أي: غاب الهدهد فترة ثم ظهر بعد ذلك، وقيل: أن سليمان هو الذي مكث فترة، ثم بعد ذلك ظهر له الهدهد، والصواب الأول، والله أعلم.

وتأمل: الهدهد الذي خلفه العذر الواضح لم يستطع أن يغيب إلا فترة زمنية يسيرة، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى الصفة القيادية الثالثة التي كان يتمتع به سليمان، وهي: صفة الهيبة، وشدة ائتمار جيشه لأمره.

الحاصل: ظهر الهدهد ورآه سليمان، فسأله سليمان عن سبب غيبته، فما كان من الهدهد إلا أن أخبر سليمان بخبر عجيب قدم له بمقدمة مشوقة: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ (النمل: 22) أي: إن كنت تبحث عني فإني قد اطلعت على شيء، لا تعلمه أنت، فقد جئتك من سبأ بخبر خطير الشأن، وأنا منه على يقين، وفي هذا القول بيان

لفضل العلم، فالعلم فخر لصاحبه، ولله در العلم!! فقد نفع الهدهد، فكان العذر المقبول الذي نجا بسببه من الذبح، أو التعذيب!!

لطائف في قول الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ (النمل: 22):

- قوله: (أحطت) فيه إشارة لطيفة أنه شاهد وسمع وفهم وحلل حتى أحاط بالموقف علمًا وفهمًا، فجملة (أحطت) تدل على إحاطته الشاملة لجميع جوانب النبأ الذي جاء به، دون أن يترك فيه ثغرة.
- قوله: (بما لم تحط به) جَزْمٌ من الهدهد أن سليمان لم يحط بخبره.
- قوله: (جئتك) فيه إشارة لطيفة أن نبأه يذاع لأول مرة عند سليمان، كما يقال في علم الصحافة: سبق إعلامي، فجملة (جئتك) تدل على إحضار المعلومات من مكان خارج عن محيط سليمان ومكانه الحالي.
- قوله: (من سبأ) فيه تحري دقيق وبحث عميق، حيث أنه عرف اسم البلدة.
- قوله: (نبأ) بدلًا من (خبر) كان اختيارًا موفقًا من الهدهد؛ لئن لفظ (نبأ) أبلغ في الصدق من لفظ (الخبر)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لفظ (النبأ) يشعرك بأنه يروي أحداث عظيمة مهمة متتابعة، وتهم المستمع.
- وصف النبأ بأنه (نبأ يقين) يدل على شدة تيقن الهدهد من صحة الأخبار والمعلومات التي سيذكرها.

- وأخيرًا تسمى هذه المقدمة في علم الصحافة بالمقدمة القنبلة، حيث تطغى هذه المقدمة على كل المسائل السابقة، وتضمن حسن إصغاء المستقبل.

وبعد هذه المقدمة المشوقة القنبلة، استطاع الهدهد أن يمتص بها غضب سليمان عليه، حيث طغت مقدمته المشوقة القنبلة هذه على مسألة غيابه، وفي نفس الوقت ضمنت له حسن إصغاء سليمان له؛ لذا حسُن أن يخبره الهدهد بعدها بالخبر العجيب، وهو: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّاۤ يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾﴾ (النمل: ٢٣ – ٢٦)

وتفصيل الخبر كالآتي:

أخبر الهدهد سليمان أنه توجد بلدة بعيدة اسمها (سبأ) قد ملكتها ملكة عظيمة تسمى (بلقيس)، قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ (النمل: 23) أي: وجدت قبيلة عظيمة تحكمها امرأة، وتتصرف في أمرهم كيفما تشاء التصرف، ودونما معترض يعترض عليها، ولا منافس ينافسها، ويبدو من كلام الهدهد التعجب والاستغراب من ذلك، **فَلِمَ تعجب الهدهد من ذلك؟**

قال الصابوني: " لئن الملوك عادة من الرجال، وأن النساء لا يصلحن لإدارة الممالك، ويؤيده حديث: " **لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.**" (رواه: البخاري: 4425)، وهذا هو الفطرة." (محمد الصابوني)

ويحتمل أن تعجبه كان بسبب انقياد قومها الشديد لها.

على كل حال يبدو أنها كانت ملكة عظيمة، ويبدو أنها قد ورثت هذا الملك كابرًا عن كابر، فقد قال الكلبي: " كان أبوها من عظماء الملوك." (محي الدين الدرويش : ٢٠٠١).

ومما يدلك على عظمة ملكها ما أخبره به الهدهد، حيث قال: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٢٣) أي: " أعطيت من كل الأشياء التي يحتاجها الملوك من أسباب الملك، نحو: الرجال، والمال، ووفرة السلاح، وغيرها." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)، وهذه الآية حملت ضربًا بديعًا من البلاغة يسمى (الإيجاز)، حيث عبرت الآية عن أشياء كثيرة عن ملكها، بكلمات قليلة موجزة.

ومما يلك على عظمة مُلك بلقيس قول الهدهد أيضًا: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل: ٢٣) أي: لها كرسي عظيم فخم تجلس عليه، وعظم العروش دليل على عظمة المملكة وغناها وترفها وتقدم الحياة عامة فيها، لا سيما الحياه الصناعية.

تساؤلان:

- **كيف ساوى سليمان بين قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ (النمل: ١٦)، وبين بلقيس في قول الهدهد: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ (النمل: ٢٣)؟**

قال الأنصاري: " الفرق بينهما أنها أوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا فقط؛ لعطف ذلك على (تملكهم)، وسليمان أُوتي من كل شيء من أسباب الدين والدنيا؛ لعطف ذلك على المعجزة، وهي منطق الطير." (زكريا الأنصاري: 2003)

- **ما المقصود بوصف عرشها بأنه عظيم؟** أي: عظيم بالنسبة الى أمثاله من عروش الدنيا.

نكمل حديث الهدهد العجيب مع سليمان، فبعدما أخبره عن هذه المَلكة، وعن عظمة مُلكها، أخبر سليمان بخبر جدّ خطير، وهو: أن هذه المَلكة وقومها وثنيون، وجهة وثنيتهم من جهة الشمس، حيث يعبدونها، ويسجدون لها من دون الله، قال الهدهد: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ٢٦﴾ (النمل: ٢٤ – ٢٦)

أي: وجدتها وقومها يسجدون للشمس معرضين عن عبادة الله، وقد حسّن الشيطان أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها، فصرفهم عن الإيمان بالله، فهم لا يهتدون إلى الله وتوحيده، قال الهدهد ذلك وهو متعجبًا، كيف لا يسجدون الذي يخرج الخبء (أي: المخبوء المستور) في السموات والأرض من المطر والزرع، وغير ذلك ويعلم ما تسرون وما تظهرون؟! فهلا سجدوا لله الذي لا معبود يستحق العبادة سواه، وهو رب العرش العظيم.

لطيفة: في اختيار الهدهد كلمة (الخَبْء) دون سائر أخواتها فيه إبداع بلاغي طريف، حيث تبرز اللفظة قدرة الله وعظمته أكثر من أي لفظة غيرها.

كما في اختياره (يسجدون للشمس من دون الله) فيها إشارة لطيفة إلى أن العبادة لا تحقق إلا بالسجود لله وحده، وخُصّ السجود بالذكر كون السجود أصل العبادة.

وقفة يسيرة في أخبار الهدهد لسليمان:

الهدهد أنبأ سليمان بأخبار مهمة، وقد جاءت أخباره على شكل نوعين من الأخبار:

النوع الأول: أخبار محسّة تدرك بالحواس، وهي:

- أنه وجد امرأة تملكهم.
- أنه حدد العلاقة الإدارية بين هذه الملكة وشعبها، حيث أنها ليست ملكتهم وحسب، بل تقودهم وترأسهم وتملكهم.
- أنها أوتيت من كل أسباب المُلك القوي.
- أنها لها عرش عظيم.

وكما ترى كل هذه الأخبار تدرك بالحواس.

النوع الثاني: أخبار خفية غير مدركة بالحواس، وإنما تدرك بالعقل، وهي:

- إخباره بأنهم يسجدون للشمس من دون الله، وهذا خبر لا يدرك بالحواس، وإنما يدرك بالعقل، فأنت لا تستطيع أن تميز بمجرد النظر لقوم يسجدون، أهم يسجدون لله أم للشمس؟! وهل يسجدون اعتقادًا أم هل يسجدون كرهًا؟ وهل يسجدون نفاقًا أم هل يسجدون إخلاصًا؟ فكل هذه الأشياء لا تدرك بالنظر وحده، وإنما تدرك بالعقل.
- إخباره أن الشيطان هو الذي صدهم عن السبيل، وهي أخبار لا تدرك بالحواس، وإنما تدرك بالاطلاع على مخبوء العقل.
- إخباره أنهم غير مهتدين، وتميز الهدى من الضلال يدرك بالعقل لا بالحواس.

وفي تنويع الهدهد أخباره إبداع طريف مشوق.

نعود إلى سليمان، فما أن سمع سليمان هذا الخبر من الهدهد إلا أخذه العجب كل العجب، فكيف يكون في هذه الدنيا من يعبد غير الله؟!

ولم ينتظر سليمان طويلًا حتى يتأكد من صدق الهدهد أو عدمه، بل اكتفى أن يقول له: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ (النمل: ٢٧) أي: قال: لن نحكم عليك بالصدق أو بالكذب، حتى نستوضح أمرك، ولعلك تتساءل: سليمان لم يظهر له دليل على صدق الهدهد أو كذبه، فكيف جاز أن يشك في خبره؟ قال ابن الجوزي: " لأنه أنكر أن يكون لغير الله سلطان." (محمد الصابوني)

ثم قال له فورًا: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ (النمل: ٢٨) أي: خذ أيها الهدهد هذا الكتاب، واذهب به وألقه إلى هؤلاء القوم الكافرين، يا الله العجب!! أعطى سليمان الهدهد الكتاب لهؤلاء القوم الوثنيين بالرغم من أنه لم يقطع بصدقه؛ وذلك لحرصه الشديد على نشر التوحيد.

كيف حمل الهدهد كتاب سليمان؟

قال ابن كثير: " إن الهدهد حمله بين جناحه كما هي عادة الطير، وقيل بمنقاره." (ابن كثير: ١٩٨٧)

وما ذكره ابن كثير – رحمه الله – لا دليل شرعي صحيح عليه، ويبدو أنه مأخوذ من الإسرائيليات، والصواب أن يقال: حمل الهدهد الكتاب بآلية لا يعلمها إلا الله وحده.

على كل حال حمل الهدهد الكتاب، وطار به إلى مملكة بلقيس الوثنية، وما أن وصل الهدهد أرض سبأ ألقى عليهم الكتاب.

كيف ألقى الهدهد الكتاب إليهم؟

يذكر المفسرون : أن الهدهد أخذ الكتاب، ولما وصل الى سبأ، رفرف فوق رأس بلقيس، ثم ألقاه في حجرها.

وهذا يبدو من تخرصات بعض المفسرين غفر الله لهم، فلم يرد في القرآن ولا في السنة الصحيحة ما يدل على ذلك، والذي يظهر أنه كان ألقاء عاديًا بدون هذه الزيادات العجيبة، والله أعلم.

الحاصل: ألقى الهدهد الكتاب عليهم ثم استأخر عنهم، كما طلب منه سليمان ذلك: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ (النمل: ٢٨) أي: ثم استأخر عنهم، وتنح إلى مكان غير بعيد مسترًا عنهم.

ويتعجب المرء: لِمَ طلب سليمان من الهدهد ذلك؟

يحتمل ليترك لهم فرصة للتشاور في الرد على هذا الكتاب، بدون أي تشويش أو بلبلة فكر لديهم؛ ولذا قال سليمان له: ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ (النمل: ٢٨) أي: انتظر بما يجيبون عليه!

وإذا الهدهد تأخر عنهم كيف سيعلم جوابهم؟

قال الأنصاري: " معناه تولِ عنهم يسيرًا، حيث لا يرونك، فانظر ماذا يرجعون." (زكريا الأنصاري: 2003)

وتأمل: فطنة سليمان في اختياره الهدهد من بين سائر الطير لحمل الكتاب:

فالهدهد هو الذي أخبره النبأ، وبالتأكيد يعرف محلهم والطرق المفضية إليهم، ويحتمل أن هذا الهدهد كان من نوع خاص، وتمّ تربيته وتدريبه بعناية فائقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، بينت الدراسات الحديثة: أن الهدهد أكفأ الطيور في نقل الرسائل والاتصال والتواصل؛ لأنه أسرعها، ولا يحتاج إلى جماعة من جنسه عند طيرانه، ويمتز بقوة الدفاع عن نفسه، ثم هو يتحمل الجوع والعطش أكثر من غيره من الطيور، فضلًا عن تميزه بذكائه المشهور.

الحاصل: نفذ هذا الجندي المخلص أمر قائده، وألقاه إليهم، تفاجأت بلقيس بهذا الكتاب الكريم، ولعظم أمر ذلك الكتاب ورجاحة عقلها، لم تُرِدْ أن تستبد بالإجابة عليه بمفردها، فعقدت اجتماعًا عاجلًا، وما أن اكتمل حضور ملئها أخذت تعرض الكتاب عليهم، قائلة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَـٰبٞ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٢٩) أي: جاءني كتاب كريم، ووصفها له أنه كريم

يدل على رزانة عقلها، **وكيف لا يكون كريمًا؟** وهو به كلام كدُرر عظيم القدر والشأن، أضف إلى ذلك أنه من أعظم ملوك الدنيا على الإطلاق.

استمر الاجتماع، وفي خضمه بينت بلقيس مضمونه لقومها: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (النمل: ٣٠) أي: إنه كتاب مرسل من سليمان يبدأ بالبسملة، وأطلعتهم على ما فيه من وعيد شديد تهديد أكيد: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ (النمل:٣١) أي: فيه أمر لنا ألا نكون فوقه، ونخضع لسلطانه، وننقاد لأمره، ونقبل إليه مسلمين.

لطيفتان: اللطيفة الأولى: حمل هذا الكتاب الذي أرسله سليمان بدائع وفرائد، منها:

- بدأ باستهلال رائع واستفتاح بارع، وهو البسملة حيث فيها الإعلان لربوبية الله تعالى لجميع المخلوقات بما فيها هم بالطبع؛ لذا سنّ استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة وتقديم اسم الله في أول عنوان الكتب.
- جمع الكتاب غاية الإيجاز مع تمام البيان.

اللطيفة الثانية: قدم سليمان في هذا الكتاب الذي أرسله إليهم اسمه على اسم الله، مع أن المناسب عكسه، فكيف استجاز سليمان لنفسه ذلك؟

قال الأنصاري: " لأنه عرف أن بلقيس تعرف اسمه، دون اسم الله تعالى، فخاف أن تستخف باسم الله تعالى، أوَّلَ ما يقع نظرها عليه، أو كان اسمه على عنوان الكتاب، واسم الله في باطنه." (زكريا الانصاري: 2003)

نعود – والعود أحمد – إلى الاجتماع العاجل الذي عقدته بلقيس؛ لنعلم ما جرى فيه من مقاولة وحوار، فبعد أن بينت مضمونه، وشرحت ما بين

سطوره، قالت لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ (النمل: ٣٢) أي: قالت: يا أيها الأشراف أشيروا علي ما أفعل فيما سمعتم، فأنا لم أقطع أمرًا يخص شؤون المملكة إلا بعد استشارتكم.

يا الله!! ما أحزمك!! وما أرجح عقلك!! حيث أدركتِ أن هذا أمر جلل خطير يحتاج إلى جميع العقول والسواعد؛ ليكون رأيهم رأيًا واحدًا، متوافقًا من الجميع.

سمع قومها مقالتها، فأخذتهم العزة بالإثم، وثارت فيهم الحماسة والعنف، فقالوا لها: ﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ (النمل :٣٣) أي: قالوا لها: نحن – كما ترين – ذووا القوة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، والأمر إليك أيتها الملكة في اختيار قرار الحرب أو السلم، وما تتخذين من قرار فنحن سننفذه.

وفي انقياد قوم بلقيس لها أمر عجيب، حيث هي سيدة، وهم رجال وأي رجال! رجال ذوو قوة وبأس، **فكيف انقاد هؤلاء الرجال الأشداء لهذه الملكة الأنثى وطاعوها تمام الطاعة؟!**

ربما أنهم لمسوا منها حسن التدبير والتفكير، وجربوها في مواقف ذات إشكالات ومعضلات، فنجحت فيها بامتياز وتفوقات، ويحتمل أنها أحسنت سيرتها معهم عدلاً وقسطًا ورعاية وتذمم، فقابلوا حُسْن رعايتها لهم بحُسْن طاعتها منهم.

ويحتمل أنها لما شاورت قومها في كل ما يعرض لها، قابل قومها احترامها لهم بأن سلموا الأمر إلى نظرها وانقادوا لها.

على كل حال سلّم القوم أمر الردّ على كتاب سليمان لرأي بلقيس، ولما كانت بلقيس ملكة ذكية عاقلة، نظرت في الأمر بعين الفطنة، ولم تغتر بما أبداه رجالها من القوة والحماسة، فرتبت لهم رأيها أحسن ترتيب، بأن بدأت بتزيف ما ذكروه، وأرتهم الخطأ فيه، فقالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ (النمل: ٣٤) أي: إن دخول الملوك إلى المدن ليس بالأمر اليسير الهين، بل هو خراب للبلاد، وخاصة إن دخلوها من فورهم غضبًا وعنوة.

وفي كلام بلقيس السابق تلخيص بديع لما يفعله أي استعمار إذا احتل أي بلد، إفساد للبلاد، وإذلال للعباد؛ لذا صدقها الله، وقال بعدها: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل: 34) أي: يفعل الغاصب المحتل المستعمر ذلك دائمًا، وأكثر المفسرين ذكروا أن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل: 34) هو من كلام الله تعالى، لا من كلام بلقيس، والله أعلم بالصواب.

ولما كان الإنسان الناجح لا يكتف فقط بذكر خطأ ما ذُكِرَ من حلول، وإنما يذكر العالج الناجع النافع، وهكذا فعلت بلقيس فبعدما زيفت ما ذكروا، بينت الرأي الصواب الناجح لحل هذه الأزمة التي أتت عليهم من حيث لا يحتسبون.

ما كان رأي بلقيس الناجع؟

كان رأي بلقيس أن تصانع سليمان، بأن ترسل إليه بهدية وأي هدية، هدية ساحرة باهرة لتستنزل مودته بسببها، فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ (النمل: ٣٥) أي: سأهدي له هدية حاضرة فاتنة.

قال قتادة: " ما كان أعقلها في إسلامها وشركها!! علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس." (محمد الصابوني)

ولله در القائل: حتى بائع الورد يحب أن تهديه وردة!!

ما ماهية هذه الهدية؟

ذكر المفسرون ماهية عجيبة لهذه الهدية التي أرسلتها بلقيس إلى سليمان – عليه السلام – فقد قال البغوي: " فأهدت إليه وُصفاء ووصائف، قال ابن عباس: ألبستهم لباسًا واحدًا كي لا يعرف الذكر من الأنثى." (محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)

وقال وهب وغيره: " عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام، وخمسمائة جارية، فألبست الغلمان لباس الجواري ....، وألبست الجواري لباس الغلمان ....، وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود، وعمدت إلى حقة، فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وخرزة مثقوبة معوجة الثقب، وأرسلت مع الهدية رجالًا من عقلاء قومها، وكتبت معهم كتابًا إلى سليمان بالهدية، وقالت: إن كنت نبيًّا، فميز لي بين الوصائف والوصفاء، وأخبرني بما في الحقة قبل أن تفتحها، واثقب الدر ثقبًا مستويًا، وادخل خيطًا في الخرزة المثقوبة من غير علاج إنس ولا جن." (محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)

وهذا بلا شك من الإسرائيليات المكذوبة الباطلة، فصن سمعك عنها، واحذر منها في أي كتاب من كتب التفسير تجدها؛ لذا نقول: أرسلت بلقيس بهدية لا نشك في نفاستها، ولكننا لا نستطيع أن نحدد ماهيتها لعدم وجود دليل يحدد ذلك.

الحاصل: أرسلت بلقيس هدية نفيسة ثمينة لسليمان، ومزيدًا في حبكها لحيلتها رأت أن يحمل هذه الهدية رجال دهاة، كأنهم استخبارات سرية؛ لينظروا عن قرب مدى قوة سليمان، ثم يحددوا بعد ذلك ما يمكن أن يفعلوه معه على ضوء تقرير هؤلاء الرسل الاستخباريين.

قال النجار: " وظاهر أنها كانت تريد إرسال الهدية أن يقف رسلها على أحوال هذا الملك الذي أرسل يتهددها على غير جريرة، ويطلب حضورها إليه خاضعة بلا تردد، ثم يعودون إليها بالتقرير الوافي عن حقيقته، وقوته في ملكه، ومبلغ ما يمكن أن يقدر عليه من المكيدة إذا لم تخضع لأمره؛ لتكون على بينة مما تأتي وتدع، وتكون على رأس أمرها حتى إذا فعلت أمرًا فعلته بعد تقدير عواقبه." (محمد الصابوني)

كم كان عدد الرسل الذين حملوا الهدية؟

يذكر بعض المفسرين: أن عددهم كان واحدًا، واستدلوا على ذلك بقول سليمان: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ (النمل: ٣٧)، بينما الصواب أنهم كانوا أكثر من واحد، فقد قالت بلقيس: ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾ (النمل: ٣٥) وهذا يدل على أنهم كانوا أكثر من واحد، أما قول سليمان: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ (النمل: ٣٧)، فيحتمل أنه خاطب به رئيس الوفد.

على كل حال: كانت بلقيس منتظرة بفارغ الصبر ما يرجع به رسلها الاستخباريين، ونلحظ هذا الترقب في قولها: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ (النمل: ٣٥) أي: منتظرة نتيجة وقع هذه الهدية على سليمان، هل هو من الملوك الذين يرغبون في الدنيا وزخارفها؟ أم هل هو غير ذلك؟

قال ابن عباس: " قالت لقومها: إن قبل الهدية فهو ملك يريد الدنيا فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي صادق فاتبعوه. " (ابن كثير: ١٩٨٧)

وبالفعل ذهب الرسل بالهدية الثمينة إلى سليمان، **فكيف استقبال سليمان هدية بلقيس؟**

ذكر المفسرون كيفية عجيبة لذلك الاستقبال، وهي: " أن سليمان أمر الجن أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة، ثم أمرهم أن يفرشوا الطريق من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميدانًا واحدًا بلبنات الذهب والفضة!

وأن يعدوا في الميدان أعجب دواب البر والبحر، فأعدوها، ثم قعد على سريره، وأمر الشياطين أن يصفوا صفوفًا فراسخ، وأمر الإنس واصطفوا فراسخ، وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه، وعن ويساره، فلما دنا القوم من الميدان، ونظروا إلى ملك سليمان، ورأوا الدواب التي لم ترَ أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة، تقاصرت أنفسهم، ورموا بما معهم من الهدايا، ثم كان أن استعان سليمان بجبريل والشياطين، والأرضة في الإجابة عما سألته عنه." (محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)

وهذا لا شك من الإسرائيليات المكذوبة، قال أبو شهبة: " وأي ملك في الدنيا يتسع لفرش تسع فراسخ بلبنات الذهب والفضة." (محمد أبو شهبة: 1408)

والصواب: عندما رأى سليمان هديتهم هذه قال لهم منكرًا عليهم، ومتغيظًا على عدم إجابتهم: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النمل: ٣٦)

و(بل) هنا تفيد الإضراب عمّا ذكره سليمان من التعليل للإنكار الذي أبداه، والاستخفاف الذي ظهر عليه إلى توضيح ما هم عليه من ضيق في الفكر، حيث ظنوا أن مثل هذه الهدية قد تفيد في صرفه عن دعوته لهم إلى التوحيد.

والمعنى: أي قال سليمان: افهموا أيها الرسل، وبلغوا من أرسلكم بهذه الهدية، أن سليمان لا حاجة له بأموالكم عامة وهديتكم هذه خاصة، فما أتاني الله من نبوة وملك أفضل بكثير من جميع ما عندكم، وبلغوهم: افرحوا أنتم بهديتكم وأموالكم، فأنتم لا همّ لكم إلا متاع الدنيا الزائل، أما أنا فلا أفرح بحطام الدنيا الفانية، فأنا غني عنها؛ وذلك لئن كل همّي نشر الدين المستقيم.

يا الله**!!** تأمل الفرق بين همّ أهل سبأ وهمّ سليمان، أهل سبأ كان كل همّهم متاع الدنيا الزائل، فكانت تصرفاتهم تصرفات مادية رخيصة، بينما كان همّ سليمان عاليًا شريفًا، فكانت تصرفاته تصرفات سامية رفيعة**!!**

كان هذا قرار سليمان النهائي، ورده السامي العالي على هدية بلقيس، وطلب سليمان – بقوة – من رئيس الوفد ومن غير كتاب، أن ينقل ردّه

الشفوي الحاسم على وجهته لقومه وملكته، فقال: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ (النمل: ٣٧) أي: ارجع بهديتك هذه إلى من أرسلك بها، وقل لهم: ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ (النمل: ٣٧) أي: لنأتينكم بجيش عظيم عرمرم لا تستطيعون مجابهته، فضلًا عن مقاتلته، ولنخرجنكم من أرضكم، وأنتم مهانون أذلاء.

هكذا انتهت مهمة الرسل الاستخباريين في أرض سليمان، ورجعوا إلى بلادهم، وهم يحملون شعورًا عجيبًا مما شاهدوه من عظمة ملك سليمان أولًا، ومما سمعوه منه ثانيًا، وأخبروا بلقيس وقومهم بما شاهدوا وسمعوا.

عندها استسلمت بلقيس وانقادت لسليمان، وشدّت رحالها وأحمالها، وسارت بجماعتها إليه.

علم سليمان أنهم لا بدّ أن يسيروا إليه، وينقادوا لأمره، فطلب طلبًا عجيبًا، وهو إحضار عرشها إليه، وذلك قبل مجيئها وقومها إليه مسلمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ (النمل: ٣٨) أي: قال سليمان لمن كان حاضرًا من جيشه: مَنْ منكم يستطيع أن يأتيني بكرسي ملكها قبل أن يأتوني طائعين؟

وفي طلب سليمان العجيب تطرح تساؤلات مهمة، وهي:

1. لِمَ اختار سليمان العرش بالذات أن يُحضر؟

اختار سليمان العرش بالذات أن يُحضر؛ لئن العروش رمز عزة الممالك وسلطانها.

2. لِمَ أراد سليمان أن يحضر عرشها قبل مجيئها؟

أراد سليمان إحضار عرشها قبل مجيئها؛ لأجل أن يتصرف فيه مما عزم عليه من حلية، وذلك قبل مجيئها وقومها وهم مسلمون؛ لأنهم بإسلامهم تكون أموالهم محترمة، ولن يستطيع أن ينفذ حليته.

لله درك يا سليمان نبيًا كريمًا حكيمًا!!

3. كيف علم سليمان بمجيء أهل سبأ إليه مسلمين؟!

يحتمل أنه كان وحيًا من الله تعالى، ويحتمل أنه قد توقع ذلك لما شاهده من عقل بلقيس ورجاحة فكرها.

4. متى قال سليمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ **(النمل: ٣٨)؟**

اختلف العلماء والمفسرون في ذلك على قولين:

القول الأول: قال سليمان ذلك عندما أخبره الهدهد بنبأ بلقيس، فكان هذا القول منه كاختبار للهدهد أهو صادق أم كاذب، فلما قال سليمان: ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ (النمل: 38) المعنى: إن حضر هذا العرش العظيم فالهدهد صادق، وإن لم يحضر عرفنا كذبه.

القول الثاني: قاله سليمان بعدما قال للهدهد: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ (النمل: 28)

الحاصل: طلب سليمان إحضار عرشها، فما أن سمع مَنْ كان حاضرًا عند سليمان ما طلبه ملكهم منهم، إلا أجابه أولًا عفريت من الجن (أي: المارد القوي من الشياطين) قائلًا: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ﴾ (النمل: ٣٩) أي: " قال مارد من الشياطين أنا

أحضره إليك قبل أن تفرغ من مجلس حكمك وتقوم، وإني على حمله لقادر وأمين على ما فيه من الجواهر والدرّ وغيرها." (محمد الصابوني)

قال الصابوني: " كان سليمان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم، وغرض (المارد) أنه يأتيه به في أقل من نصف نهار." (محمد الصابوني)

ثم نهض جندي آخر، وقدم عرضًا أبلغ من عرض صاحبه السابق، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ (النمل: ٤٠)، فمن هذا الذي عنده علم من الكتاب؟ وما العرض الذي قدمه لسليمان؟

أما من هذا الذي عنده علم من الكتاب؟

قال الصابوني: قال المفسرون هو: (آصف بن برخيا) كان من الصديقين يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وهو الذي أتى بعرش بلقيس، وقال لسليمان: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ (النمل: ٤٠) " (محمد الصابوني)

وذكر ابن كثير أقوالًا أخرى في تحديد ماهية هذا الذي عنده علم الكتاب، منها:

- أنه كان رجلًا من بني إسرائيل من علمائهم.
- وقيل إنه سليمان نفسه.
- وقيل جبريل. (ابن كثير: ٢٠٠٢)

وكل ما ذكر عن ماهية هذا الذي عنده علم الكتاب ليس له دليل شرعي صحيح من القرآن أو من السنة الشريفة، بينما ذهب السعدي إلى: " إن الذي

عنده علم من الكتاب (كان) من الأسباب التي سخرها الله لسليمان، أسباب يحصل بها تقريب المواصلات وجلب الأشياء البعيدة." (عبد الرحمن السعدي: 2002)

والله أعلم بالصواب.

ما العرض الذي قدمه لسليمان؟

كان عرضه أن يحضر العرش قبل أن يرتد طرف سليمان إليه ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ (النمل: 40)

ما المقصود بقول الذي عنده علم من الكتاب: ﴿قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ (النمل: ٤٠)؟

ذكرت أقوالاً عدة، منها:

- أي: سآتيك بالعرش" قبل أن تبعث رسولاً إلى أقصى ما ينتهي إليه طرفك من الأرض ثم يعود إليك." (ابن كثير: 2002)
- أي: سآتيك بالعرش " قبل أن يصل إليك أبعد من تراه من الناس." (ابن كثير: 2002)
- أي: سآتيك بالعرش " قبل أن يكل طرفك إذا أدمت النظر به قبل أن تطبق جفنك." (ابن كثير: 2002)
- أي: سآتيك بالعرش " قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته." (ابن كثير: 2002)
- أي : سآتيك بالعرش في لمح البصر.

والله أعلم بالصواب.

على كل حال ووصل العرش العظيم، ووضع أمام سليمان الحكيم بحرص وانتباه واهتمام، فلما رأى سليمان عرشها ﴿مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ (النمل: 40) أي: حاضرًا أمامه ثابتًا عنده، حمد الله قائلًا: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾ (النمل:40) أي: هذا إحسان ربي علي وفضله ﴿لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ﴾ (النمل:40) أي: ليختبرني بذلك.

قال السعدي: " فلم يغتر – عليه السلام – بملكه وسلطانه وقدرته، كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل علم – عليه السلام – أن ذلك اختبارًا من ربه، فخاف ألا يقوم بشكر هذه النعمة." (عبد الرحمن السعدي: 2000)

لله درك يا سليمان نبيًّا مخبتًا كريمًا!!

ثم وضح – عليه السلام – أن الشكر من العبد لا ينتفع به الله سبحانه، وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه؛ لذا قال سليمان: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ (النمل: 40)

ولما قرب وصول بلقيس إلى بلاده أمر أن تغير معالم عرشها، فقال عليه السلام: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ (النمل: 41) أي: غيروا لها عرشها، والتنكير هو ضد التعريف، والتنكير هو جعل: الشيء على هيئة تخالف السابقة حتى لا يعرف.

ويتساءل هنا: لِمَ نكر سليمان عرشها؟

أراد سليمان أن يختبر عقلها بأن ينكر عرشها، فينظر أتعرفه أم تنكره.

ما علاقة تنكير العرش باختبار عقلها؟

بينهما علاقة قوية، حيث أنها لما تتفاجأ باطلاعها على عرشها، الذي خلفته وراءها في بلادها، وهو مختلف، سيدل حسن تصرفها على عقلها؛ لذا قال سليمان بعدها: ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل: ٤١) أي: لنعرف هل ستهتدي إلى الجواب المناسب بالمقام عندما تسأل أهذا عرشك؟ أم لا تهتدي للجواب الصحيح عندما تسأل عنه؟

على كل حال وصلت بلقيس وفوجئت بأول ظاهرة عجيبة، حيث عرض عليها عرشها بعد تنكيره، وقيل لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ (النمل: 42)!! **وتأمل:** لَمْ يقل لها: أهذا عرشك؟ لئلا يكون تلقينًا لها بالجواب.

تفحصت بلقيس بنظرها العرش، وأخذت تدور الإجابة في عقلها، فلم تجزم بأنه هو؛ لأنه وإن كان الذي أمامها يشبه عرشها شبهًا كبيرًا حسب ظنّها، إلا إنها على يقين بأنها خلفته خلفها، فأتت بلفظ محتمل للأمرين، وصادق على الحالين، حيث قالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ (النمل :٤٢)!!

تعجب سليمان من عقلها وحكمتها، وشكر الله أن أعطاه أعظم مما أعطاها، فقال: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ (النمل: ٤٢) أي: أعطانا الله العقل المستنير، والحكمة البالغة، والحزم الماضي، والهداية الدائمة من قبل هذه الملكة الحكيمة النابهة ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: 42) ويقصد كنا مهتدين الهداية النافعة الأصلية وهي الاستسلام لله تعالى.

ولما كان من الوارد أن يقال: إن كان حال هذه المَلكة من الذكاء والفطنة هكذا، **فلِمَ كانت كافرة؟**

أجاب الله تعالى عن هذا التساؤل بأن بين سبب كفر بلقيس: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ (النمل: ٤٣) أي: الذي منعها عن الإيمان بالله هو كفرها وعبادتها القديمة، وبسبب نشوئها وسط قوم مشركين فاتبعت دينهم، وفي هذا إشارة لطيفة إلى دور البيئة الكبير في تشكيل عقول الناس ومذاهبهم.

نعود إلى بلقيس، وما جرى معها في قصر سليمان، فبعدما تفاجأت بالمفاجأة الأولى وهي وجود عرشها المنكر، إذ بها تفاجأ بالظاهرة الثانية الأشد عجبًا، وهي دخولها الصرح، حيث قيل لها: ﴿ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَ﴾ (النمل: ٤٤)

ما المقصود بالصرح؟

هو: " المجلس المرتفع المتسع، وكان مجلس من قوارير (زجاج)، وتجري من تحته الأنهار." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

لِمَ بنى سليمان هذا الصرح؟

في سبب بناء سليمان هذا الصرح يُرد المفسرون – غفر الله لهم – إسرائيلية مكذوبة، وهي:

" أن سليمان أراد أن يتزوجها، فقيل له: إن رجليها كحافر الحمار، وهي شعراء الساقين، فأمرهم، فبنوا هذا القصر على هذه الصفة، فلما رأته حسبته لجة، وكشفت عن ساقيها لتخوضه، فنظر سليمان، فإذا هي أحسن الناس قدمًا وساقًا، إلا أنها كانت شعراء الساقين، فكره ذلك فسأل الإنس ما يذهب هذا؟

قالوا: الموسى ، فقالت بلقيس لم تمسني حديدة (أي الموسى الذي يزيل الشعر) قط، وكره سليمان ذلك، خشية أن تقطع ساقيها، فسأل الجن: فقالوا: لا ندري؟ ثم سأل الشياطين، فقالوا: إنا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا لها النورة (أي: مادة تستخدم لإزالة الشعر) والحمام ، فكانت النورة والحمام من يومئذ." (محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)

قال أبو شبهة: " وهذا كذب ظاهر، كأن النورة والحمام لم يكونا إلا لها، وكأن سليمان – عليه السلام – لم يكن له همّ إلا إزالة شعر ساقيها، وهو تجن صارخ على الأنبياء، وإظهارهم بمظهر المتهالك على النساء ومحاسنهم، فقبح الله اليهود." (محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)

فما الحق في سبب بناء سليمان هذا الصرح؟

قال أبو شبهة: " والحق أن سليمان – عليه الصلاة والسلام – أراد ببنائه الصرح: أن يريها عظمة ملكه وسلطانه، وأن الله – سبحانه وتعالى – أعطاه من الملك، ومن أسباب العمران والحضارة ما لم يعطها، فضلًا عن النبوة التي هي فوق الملك، والتي دونها أية نعمة، وحاشا لسليمان – عليه السلام – وهو الذي سأل الله أن يعطيه حكمًا يوافق حكمه – أي الله، فأوتيه – أن يتحايل هذا التحايل، حتى ينظر إلى ما حرم الله عليه، وهما ساقاها، وهو أجل من ذلك وأسمى.

ولولا أنها رأت من سليمان ما كان عليه من الدين المتين، والخلق الرفيع، لما أذعنت إليه لما دعاها إلى الله الواحد الحق، ولما ندمت على ما فرط منها من عبادة الكواكب والشمس، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين." (محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)

على كل حال بنى سليمان الصرح لتدخل فيه بلقيس، فلما دخلت بلقيس الصرح رأت عجبك، رأت مجلسًا فخمًا مصنوعًا من الزجاج الشفاف الصافي، ويجري تحته ماء غمر كثير، وكان مصممًا بشكل هندسي بديع، مما جعل بلقيس تظنه لجة ماء، أي ماء كثير الجريان ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾ (النمل:٤٤)، فما كان منها إلا ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا﴾ (النمل:44)؛ لتخوض هذا الماء حسب ظنها!!

ولعلك تساءل: لِمَ لَمْ تمتنع بلقيس من خوض هذا الماء حسب ظنها؟

قال السعدي: " وهذا من عقلها وأدبها، فإنها لم تمتنع من الدخول للمحل الذي أمرت بدخوله، لعلمها أنها لم تستدع إلا للإكرام، وأن ملك سليمان وتنظيمه، قد بناه على الحكمة، ولم يكن في قلبها أدنى شك من حالة السوء ما رأت." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

الحاصل: لما أكملت بلقيس استعداداتها للخوض في الصرح، قيل لها توقفي: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾ (النمل: 44) أي: إنه مجلس متسع ناعم الملمس، مصنوع من الزجاج الصافي الشفاف.

رأت بلقيس من الدلائل ما بهر عقلها، ومن الخوارق ما دهش فكرها، فأعلنت إسلامها، وتبرأت مما كانت عليه وقومها من كفر وضلال، وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (النمل:٤٤)

قال الأنصاري: " حقيقة المعية: الاتفاق في الزمان، وسليمان كان مسلمًا قبلها." (زكريا الأنصاري: 2003)

لطيفة: قالت بلقيس: ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (النمل:٤٤)، ولم تقل بدل (مع سليمان) على يد سليمان، فما السرّ في ذلك؟

قال الأنصاري: " لأنها كانت ملكة، فلم تذكر عبارة تدل على أنها صارت مولاة له بإسلامها، وإن كان الواقع ذلك." (زكريا الأنصاري: 2003)

هل تزوج سليمان بلقيس؟

نقل ابن كثير قولين: الأول أنه تزوجها، والثاني أنه لم يتزوجها.

والصحيح التوقف في ذلك لعدم وجود دليل يقطع بالجواب الصحيح.

هكذا انتهت قصة سليمان مع بلقيس نهاية سارة مفرحة، حيث أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، ولله الأمر من قبل ومن بعد!!

فتنة سليمان عليه السلام:

يحلو لبعض المغرمين بالروايات العجيبة والإسرائيليات المصطنعة ذكر قصة عجيبة حول فتنة سليمان التي أشار إليها القرآن الكريم إشارة خاطفة في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤﴾ (ص:٣٠ – ٣٤)

فجاء في الدور المنثور، وغيره:

" أراد سليمان – عليه السلام – أن يدخل الخلاء، فأعطى الجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته، وكانت أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان في صورة سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي، فأعطته، فلما لبسه، دانت له الجن والإنس والشياطين، فلما خرج سليمان – عليه السلام – من الخلاء، قال لها: هاتي خاتمي، فقالت: أعطيته سليمان، قال: أنا سليمان، فقالت: كذبت، لست سليمان، فجعل لا يأتي أحدًا يقول له: أنا سليمان إلا كذبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة.

فلما رأى ذلك، عرف أنه من أمر الله عز وجل، وقام الشيطان يحكم بين الناس، فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان – عليه السلام – سلطانه ألقي الله في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان عليه السلام، وقالوا لهن : أيكون من سليمان شيء؟ قلن: نعم، إنه يأتينا، ونحن حيض، وما كان يأتينا قبل ذلك!

فلما رأى الشيطان أنه قد فُطِنَ له، ظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتبًا فيها سحر ومكر، فدفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أثاروها (أخرجوها)، وقرأوها على الناس، وقالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس، ويغلبهم، فأكفر الناس سليمان، فلم يزالوا يكفرونه، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم، فطرحه في البحر، فتلقته سمكة، فأخذته، وكان سليمان – عليه السلام – يعمل على شط البحر بالأجر، فجاء رجل فاشترى سمكًا، فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فدعا سليمان عليه السلام، فقال له: تحمل لي هذا السمك، ثم انطلق إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فأخذها سليمان – عليه السلام – فشقّ

بطنها، فإذا الخاتم في جوفها، فأخذه، فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين، وعاد إلى حاله، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان – عليه السلام – في طلبه، وكان شيطانًا مريدًا يطلبونه، ولا يقدرون عليه، حتى وجدوه يومًا نائمًا، فجاءوا فبنوا عليه بنيانًا من رصاص، فاستيقظ، فوثب، فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا أن دار معه الرصاص، فأخذوه، وأوثقوه، وجاءوا به إلى سليمان – عليه السلام – فأمر به، فنقب له في رخام، ثم أدخل في جوفه، ثم سدّ بالنحاس ثم أمر به، فطرح في البحر، فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ (ص: 34)، يعني الشيطان الذي كان تسلط عليه." (محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)

وقال هراس: " ومما رموا (اليهود) به سليمان عليه السلام، أنه نمى إليه خبر ملك تحصن في جزيرة، فخرج إليه بالريح، وقتله، وأخذ ابنته، وكانت في غاية الجمال، فأحبها، وكان لا يرقأ لها دمع حزنًا على أبيها، فأمر سليمان الجن بأن يعملوا لها تمثالًا على صورة أبيها، فكسته كسوة نفيسة، وكانت تغدو وتروح إليه مع ولائدها يسجدن له على عادتهن في ملكه، فسقط الخاتم من يد سليمان – عليه السلام – لعصيانه باتخاذ الصنم الذي يُسجد له في بيته، فقال آصف: إنك مفتون بذنبك: فتب إلى الله، فخرج إلى فلاة، وقعد على الرماد تائبًا إلى الله سبحانه وتعالى، ويفسرون بهذه الفرية قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ (ص: 34)" (محمد هراس)

قال أبو شبهة: " ونحن لا نشك في أن هذه الخرافات من أكاذيب بني إسرائيل وأباطيلهم." (محمد ابو شبهة: ١٤٠٨)

وقد ترد شبهة وهي أن لهذه القصة سند قوي لابن عباس، وقد أجاب عن ذلك أبو شبهة:

" قوة السند لا تنافي كونها مما أخذه ابن عباس وغيره عن كعب الأحبار وأمثاله عن مسلمة أهل الكتاب، فثبوتها في نفسها لا ينافي كونها إسرائيليات بني إسرائيل وخرافاتهم، وافتراءاتهم على الأنبياء." (محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)

" (ويا للأسف) قد تجرأ بعض الرواة، أو غلط، فرفع بعض هذه الإسرائيليات إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " **ولد لسليمان ولد، فقال للشيطان تواريه من الموت، قالوا : نذهب به إلى المشرق، فقال يصل إليه الموت ، قالوا: فإلى المغرب، قال: يصل إليه الموت، قالوا: إلى البحار، قال: يصل إليه الموت، قالوا: نضعه بين السماء والأرض، قال: نعم، ونزل عليه ملك الموت!**

فقال: إني أمرت بقبض نسمة طلبتها في البحار، وطلبتها في تخوم الأرض فلم أُصبها، فبينا أنا قاعد أصبتها، فقبضتها، وجاء جسده، حتى وقع على كرسي سليمان، فهو قول الله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤﴾ (ص: 34)" (محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)

قال أبو شبهة: " وهذا الحديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد يكون ذلك من عمل بعض الزنادقة، أو غلط بعض الرواة." (محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)

ما التفسير الصحيح للفتنة؟

الصحيح المتعين في تفسير الفتنة، هو: ما جاء في الصحيحين: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد في سبيل الله، فقال لصاحبه** (يعني الملك الذي كان يأتيه بالوحي): **قل إن شاء الله، فلم يقل، ولم تحمل شيئًا، إلا واحدًا ساقطًا أحد شقيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو قالها لجاهدوا في سبيل الله.**" (رواه البخاري: (3424)، ومسلم: (1654))

بينما اختار الإمام الفخر الرازي: " أن الفتنة المذكورة في الآية الكريمة يقصد بها فتنته في جسده، حيث إن سليمان ابتلي بمرض شديد نحل منه وضعف، حتى صار شديد المرض، كأنه جسد ملقى على كرسي، قال العرب تقول في الضعيف: إنه لحم على وضم، وجسم بلا روح ، ثم أناب أي رجع إلى حالة الصحة." (محمد الصابوني)

والصواب الأول، والله أعلم.

تساؤل مهم في الحديث: كيف استجاز سليمان لنفسه ترك قول: إن شاء الله؟!

قال أبو شبهة: " إن الترك كان نسيانًا." (محمد أبو شبهة: ١٤٠٨)، ولا يعنى نسيانه قول إن شاء الله أنه لم يفوض الأمر لله بقلبه، فحاشاه أن يغفل قلبه عن تفويض الأمر لله، وهو نبي.

تتمة تفسيرية: قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ (ص: ٣١) أي: عرض على سليمان بعد العصر الخيول الواقفة على الطرق، وهذا يدل على أفضلية هذه الجياد، وأنها سريعة الجري.

وقوله: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ (ص: ٣٢) أي: شغلتني هذه الجياد عن ذكر الله، حتى غابت الشمس، ويبدو أن لسليمان كان ذكرًا خاصًا لم يفعله حتى غابت الشمس، وانقصر وقته.

وقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ (ص: ٣٣) أي: أن ردوا الجياد علي، فطفق يذبحها تقربًا لله بعد أن شغلته عن ذكر الله.

براءة سليمان - عليه السلام - من تهمة السحر:

السحر تهمة مشينة، ومهنة خسيسة، ينبو عنها أصحاب النفوس الصحيحة عن إتيانه فضلًا عن تعاطيه، وقد ذمّه الرسول – صلى الله عليه وسلم – أشد الذمّ حينما سماه (موبقة)، قال صلى الله عليه وسلم: " **اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر.**" إلى آخر الحديث الذي (رواه أبو داود: 2874)

وسليمان النبي الكريم قد أُتهم بأنه كان ساحرًا، **فمن الذي اتهمه بهذا؟**

الذين اتهموه بهذا هم اليهود، عليهم من الله ما يستحقون.

ويا للأسف استمر الناس يظنون بسليمان ذلك السوء زمنًا بعيدًا، حتى أنزل الله براءته من فوق سبع سموات، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ

﴿سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ (البقرة: ١٠٢)، وهذا إخبار صادق من الله الحق بأن سليمان ما كان يوم من الأيام لا ساحرًا، ولا كافرًا، ولكن الشياطين هم الذين كفروا بتعليمهم الناس السحر، حتى فشا أمره.

ما قصة اتهام اليهود سليمان بالسحر؟

قال السعدي: " لما كانت الشياطين زمن سليمان قد سخرهم الله له، وبلّغه أنهم باجتماعهم بالإنس يعلمونهم السحر، فجمعهم وتوعدهم، وأخذ كتبهم، ودفنها، فلما توفي سليمان جاءت الشياطين للناس، وقالوا: إن ملك سليمان مشيد على السحر، واستخرجوا الكتب التي دفنها، وأشاعوا من إغوائهم للناس أنها مأخوذة من سليمان، وأن سليمان ساحر، وروج ذلك طائفة من اليهود، فبرأ الله سليمان من هذا الأمر، وبين أن السحر من العلوم الضارة، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾ (البقرة: ١٠٢)" (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٢)

وقد ذمّ الله اليهود ذمًّا شنيعًا بسبب مقالتهم هذه، حيث قال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ (البقرة: ١٠١) أي: لما جاء اليهود رسول من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم، ومصدق وموافق للتوراة التي بين أيديهم، طرح أحبارهم السوء وعلماؤهم الخبثاء كتاب الله وهو التوراة وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون شيئًا.

ويا ليت وقف كفرهم وعتوهم عند هذا الحد، وإنما ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾ (البقرة: ١٠٢) أي: " اتبعوا طرائق السحر والشعوذة التي كانت تحدثهم بها الشياطين في عهد ملك سليمان." (محمود الجاسم: 1993)

تساؤل: الذمّ السابق كان لليهود الذين كانوا في عهد النبي، وكما هو معلوم أن هؤلاء لم يقع منهم ذلك، وإنما وقع من أسلافهم، فكيف ذمّهم الله بفعل أسلافهم؟

جاز إضافة أعمال أسلافهم الماضية لهم؛ ومن ثَمَّ ذمهم عليها؛ لأنهم رضوا بها ومشوا على نفس طريقهم.

الحاصل: إنّ الله تعالى قد برأ سليمان من تهمة إتيان السحر والشعوذة، وذمّ اليهود سلفهم وخلفهم بسبب مقالهم هذه أشد الذمّ.

وفاة سليمان:

عاش سليمان – عليه السلام – ما شاء الله له أن يعيش، **كم كان مقدار حياة سليمان؟**

قد حدد المفسرون مقدار هذه المدة التي عاشها سليمان نحو ٥٢ سنة، وليس في ظاهر القرآن، ولا في السنة الصحيحة ما يحدد مقدار مدة حياة سليمان؛ لذا السكوت عن هذا أسلم .

على كل حال عاش سليمان حياة كريمة فاضلة مليئة بالرحمة والحكمة، ولما أن كتب الله الموت على جميع الخلائق في هذه الحياة الدنيا، نزل الموت بساحة سليمان، وقد كان أمر موته حدثًا غريبًا، **فيا ترى ما هو؟!**

كان حدث عجيبًا؛ لأنه لم يعلم به أحد بحدث عرضي عجيب، وهو أن سلط الله دابة على منسأته (عصاته) فأكلتها، عندئذ خرّ سليمان على الأرض ميتًا، فعلم الجميع عندئذٍ موته.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ (سبأ: ١٤)

قال السعدي: " لم تزل الشياطين يعملون لسليمان عليه السلام كل بناء، وكانوا قد موهوا على الإنس، وأخبروهم أنهم يعملون الغيب، ويطلعون على المكنونات، فأراد الله تعالى أن يُري العباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكثوا يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان عليه السلام، واتكأ على عصاه وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها، ظنوا حيًّا، وهابوه.

فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل ترعاها، حتى باد وسقط، فسقط سليمان عليه السلام، وتفرقت الشياطين، وتبينت الإنس أن الجن ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ (سبأ: ١٤)، وهو العمل الشاق عليهم، فلو علمت الغيب لعلموا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه ليسلموا مما هم فيه." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

وفي حادث موته العجيب ترد أسئلة، وهي:

كم كانت مقدار هذه المدة التي لم يعلم أحد بموت سليمان فيها؟

قد حدد المفسرون مقدار تلك المدة التي قضاها الجن والشياطين، وهم لا يعلمون موته نحو السنة الكاملة، وذلك التحديد لا نصًا صحيحًا عليه.

ما اسم هذه الدابة التي أكلت منسأته؟

قد سمى المفسرون هذه الدابة بالأرضة، وذلك التحديد – أيضًا – لا نصًا صحيحًا عليه!

الفصل الثاني

الفوائد المستفادة من قصة

سليمان – عليه السلام –

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (يوسف: ١١١)

الفوائد المستفادة من قصة سليمان - عليه السلام -

تمهيد:

قصة سليمان كغيرها من قصص الأنبياء والمرسلين، ليست للتسلية أو السمر وإنما لأخذ العبر والعظات، وللاقتداء بهؤلاء الأطهار الأتقياء الأنقياء، والسير على دربهم، فاطلاعنا على سيرهم، وما تحملوه من أذى في سبيل الله تقوية لعزائمنا، وتصحيح لهممنا، وتسلية لنا عما يصيبنا من اللأواء.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (يوسف: ١١١)

1. الحكمة من اختلاف حكمي داود وسليمان عليهما السلام:

في اختلف الحكم بين النبيين الكريمين رَفْع للحرج عن القضاة عند اجتهادهم، طالما كانوا عالمين بالاجتهاد، والسنن والقياس، وقضاء من مضى، قال الحسن : " لولا هذه الآية لرأيت القضاة هلكوا، ولكنه تعالى أثنى على سليمان بصوابه، وعذر داود باجتهاده." (القرطبي: ٢٠٠٢)

وقد ثبت عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " **إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر.**" (رواه البخاري: 6919)، وذلك ما لم يتعمد الخطأ لغرض ما.

وفي تلك المسألة: يجوز للحاكم الرجوع في قضاء قضاه باجتهاد إلى قضاء آخر قضاه باجتهاد آخر تبين لديه أنه أرجح من الأول، فإن داود عليه السلام فعل ذلك.

2. حكم إفساد الغنم للحقول في شرعنا:

مرّ معنا حكم سليمان في هذه القضية، أما في شرعنا ما حكم إذا رعت غنم في حقل إنسان؟

إن كان ذلك في النهار لا شيء على صاحب الغنم، فعلى أصحاب الحقول حفظها نهارًا.

أما إن رعت في الليل، فعلى صاحب الغنم أن يضمنها المثل في المثيلات، وبالقيمة في ذوات القيمة، وهذا قول الجمهور.

وذهب أبو حنيفة: " أن البهائم إذا أفسدت زرعًا في ليل أو نهار أنه لا يلزم صاحبها شيء." (القرطبي: ٢٠٠٢)

3. ذرية بعضها من بعض:

قال السعدي: " سليمان – عليه السلام – من فضائل داود، ومن منن الله عليه، حيث وهبه له، وأنّ من أكبر نعم الله على عبده، أن يهبّ له ولدًا صالحًا، فإن كان عالمًا كان نورًا على نور." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

4. من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه:

قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾ (ص: ٣٢

33-) " سليمان – عليه السلام – عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديمًا لمحبة الله، فعوضه الله خيرًا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون، وذلك تمشيًا مع القاعدة المشهورة (من ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منها)." (عبد الرحمن السعدي: ٢٠٠٠)

5. ما حكم قتل النمل؟

أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقتل الفواسق الضارة من الحيوانات، مثل: الفأرة، والعقرب، والكلب العقور، وغيرها.

وفي المقابل نهى عن قتل أربعة من الدواب، وهي: النمل، والنحلة، والهدهد، والصرد (الصرد هو: " طائر أكبر من العصفور، ضخم الرأس والمنقار، يصيد صغار الحشرات، وربما صاد العصفور، وكان يتشاءمون منه." (إبراهيم مصطفى وآخرون))

لِمَ نهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن قتل هذه الدواب؟

لما في هذه الدواب من فائدة أو أنها ليس فيها ضرر أو أذى، فالنحلة نأخذ منها العسل، والنملة لا ضرر فيها، وكذلك الهدهد والصرد، أما إن أذى أيًّا **فما الحكم**؟ إن أذت أية دابة فلا بأس بقتلها، ما دام أنها تسبب ضررًا.

لذا نقول إجابة عن السؤال الرئيس: لا بأس في قتل النمل إن كان يؤذي الناس، أما إن كان لا يؤذي فلا يقتل، والله أعلم.

6. بساط الريح أو بساط سليمان:

لا زلنا نسمع في القصص القديمة قصة بساط الريح أو بساط سليمان، وما كان لهذا البساط من قدرات خارقة عجيبة، **فهل لهذا البساط أصل وحقيقة؟**

أقول: سخر الله لسليمان الريح العاصف، والريح الرخاء، ويُرِدُ بعض المفسرين في مسألة تسخير الريح لسليمان قضية بساط سليمان أو بساط الريح، ومن هنا تبدأ البداية.

فقد ذكروا أن لسليمان بساطًا، ووصفوه بأنه كان أشبه بسجادة كبيرة جدًّا تطير في الهواء بسرعة كبيرة، وحددوا من أي شيء صُنع هذا البساط، فقالوا: إنه مصنوع من الحرير، وقيل: من الخشب ومزين بالحرير!

وقالوا: إن سليمان كان يحمل عليه جميع جنده من الإنس والجن والطير بمعداتهم الحربية الثقيلة!!

وجعلوا غدو الريح شهر ورواحها شهر ببساط سليمان العجيب.

ومن ذلكم الزمن أخذت تظهر ملامح قصة بساط الريح أو بساط سليمان، في كتب التفسير، والذي نؤكد عليه أن بساط الريح أو بساط سليمان الذي ذكره المفسرون، ما هو إلا من تخاريف بني إسرائيل وأباطيلهم.

فالقرآن الكريم ذكر تسخير الريح العاصف والرخاء لسليمان، ولم يذكر بساط سليمان أو بساط الريح أبدًا، ولم يقله المعصوم صلى الله عليه وسلم؛ لذا لا يصح نسب هذه الخرافة لسليمان، وإن قبلناها كقصة أسطورية، لا نقبل – بأي حال من الأحوال – أن تنسب لسليمان عليه السلام، فكن على حذر من ذلك.

7. خاتم سليمان:

لا زلنا نسمع – أيضًا – في القصص القديمة قصة خاتم سليمان، وقد مرّ معنا في فتنة سليمان – عليه السلام – قصة خاتمه، وظهر لك أنها من أكاذيب بني إسرائيل، وأنها لا تصح أبدًا؛ ونقول في خاتم سليمان ما قلناه في بساط الريح أو بساط سليمان، إن قبلنا خاتم سليمان كقصة أسطورية، لا نقبل – بأي حال من الأحوال – أن تنسب لسليمان عليه السلام، فكن على حذر من هذه الخرافة والكذب.

8. هل يجوز تعلم السحر دون العمل به؟

بداية: ما المقصود بالسحر؟

السحر: " التمويه بالحيل والتخاييل، والخفاء والصرف والاستمالة، والخداع وغيرها من المعاني." (محمود الجاسم: 1993)

هل يجوز تعلم هذا السحر دون العمل به؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: يجوز ذلك، وقد عده الرازي واجب التعلم!

القول الثاني: لا يجوز مطلقًا، وهذا قول الجمهور، وهو الصواب إن شاء الله.

9. حكم تولي المرأة المناصب السيادية في الدولة:

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: منع تولى المرأة المناصب السيادية منعًا مطلقًا، وقد استدلوا على ذلك بأدلة، أهمها:

- قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " **لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.**" (رواه: البخاري: 4425)، فدل الحديث على منع المرأة تولي منصب الإمارة، وهو منصب سيادي، ومجيء كلمتي (قوم وامرأة) نكرتين في سياق النفي يدل على العموم.
- الواقع ينافي تولي المرأة مثل هذه المناصب، وذلك لقوة عاطفتهن، فتطغى على تفكيرهن؛ ولئن شأن هذه المناصب أن يتفقد متوليها أحوال الرعية، والاضطرار للسفر أحيانًا، والاختلاط بأفراد الرعية، وإلى إبرام العقود والمعاهدات، ونحو ذلك مما لا يتناسب مع أحوال المرأة، وما يتعلق بها من أحكام شرعت لحمايتها وصونها.

القول الثاني: يجوز تولي المرأة المناصب السيادية في الدولة، وقد استدلوا على ذلك بأدلة، أهمها:

- ثبت من وقائع وتطبيقات وممارسات مجتمع النبوة والخلافة الراشدة أن المرأة كانت مشاركة في العمل العام بدءًا من الشورى في الأمور العامة، والمشاركة في تأسيس الدولة الإسلامية الأولى، وحتى ولاية الحسبة والأسواق والعقارات، فقد ولاها عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – للشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس.
- تَغَيّر مفهوم الولاية العامة في عصرنا الحديث عمّا كان عند القدماء، وذلك بانتقاله من سلطان الفرد إلى سلطان المؤسسة التي يشترك فيها جَمْعٌ من ذوي الخبرة والسلطان والاختصاص، ومثلوا لذلك: تحول القضاء من قضاء الفرد إلى قضاء مؤسسي يشترك في الحكم فيه عدد من القضاة، فإذا شاركت المرأة في هيئة المحكمة، فليس ذلك

واردًا بنفس المعنى الوارد في فقه القدماء؛ لئن القضاء اليوم قضاء مؤسسة وجَمْع، وليس لفرد من الأفراد.

- وأما عن الحديث السابق فأجابوا بقولهم:

الحديث من جهة الرواية هو حديث صحيح لا شبهة فيه، وأما إغفال مناسبة وروده يجعل الدراية بمعناها الحقيقي مخالفة للاستدلال به على تحريم ولاية المرأة للمناصب السيادية، فنص الحديث: عن أبي بكرة – رضي الله عنه – قال: " **لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أيام الجمل بعدما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم.**

قال: لما بلغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى، قال: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة." (رواه البخاري: 4425)

ومن ملابسات ورود الحديث يكون المقصود من قول الرسول: أن نفرًا قد قدموا من بلاد فارس إلى المدينة المنورة، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- من يلي أمر فارس؟
- قال أحدهم: امرأة.
- فقال صلى الله عليه وسلم: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.

فملابسات ورود الحديث تجعله نبوءة سياسية بزوال ملك فارس، وهي نبوءة نبوية تحققت بعد ذلك بسنوات، أكثر منه تشريعًا عامًا يحرم ولاية المرأة للعمل السياسي العام.

وقد أجاب الفريق الأول على ذلك: بأن العبرة تكون بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

والذي يظهر لي: أن القول الأول قول طيب حسن، ولكنه فيه تعطيل لنصف طاقات المجتمعات، والقول الثاني طيب حسن ولكن فيه ملاحظات إذا فتحت هذه المناصب على مصرعيها لدخول المرأة فيها؛ لذا يظهر لي: أن التوسط هو المقبول في عصرنا الحالي، فلا تمنع المرأة من كل المناصب السيادية، كما لا يسمح لها بجميعها، وإنما يكون مشاركتها حسب نوع المنصب والاحتياجات فيه، وحسب حال المرأة، والله أعلم.

10. الإيجابية عند الهدهد والنملة:

كثير من الناس إذا ما واجهت مجتمعه مشكلة، يقلل من شأن نفسه، وينظر إليها نظرة دونية! وإذا تجرأ وفكر في المشكلة سرعان ما يخاطب نفسه ويقول: من أنا؟ وماذا يمكنني عمله؟ وهل يمكن لمثلي أن يقترح شيئًا أو يحرك ساكنًا؟!

لمثال هؤلاء، نقول: اعد قراءة خبر هدهد سليمان ونملته!!

فهدهد سليمان كان طائرًا صغيرًا في جيش سليمان القوي، ومع صغر حجم هذا الهدهد موازنة بغيره من الجند والقادة، إلا أنه كان يمتلك همّة عالية وإيجابية نشيطة، جعلته يتحرك لهذا الدين الذي يؤمن به، وبدون تكليف مسبق، ولا تنفيذًا لأمر صادر، ولا إجابة لطلب من مسؤول.

تحرك بتفان عال، وهمة صادقة، وإخلاص تام، وجلب للقيادة المؤمنة خبرًا مهمًا أدى إلى دخول أمة كاملة في الإسلام.

تلك الهمّة، وقل إن شاءت: الإيجابية، هي التي دعت هذا الهدهد البسيط لتخطي القائد، ولكن في نطاق الفائدة.

وهكذا الفرد الإيجابي الفعال ضمن الجماعة الفاعلة، لا يخرج عنها، وإنما يخرج عنها؛ ليعود إليها بكل خير ونفع وفائدة .

هذا الهدهد ترك الراحة، والأمان، لينطلق لاستكشاف الخير، لا لاستكشاف الكنوز الخرافية، والحقائق السرابية.

عرض نفسه للعقاب الأكيد، والوعيد الشديد في حال اخفاقه في صيد الثمين ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٢١﴾ (النمل: ٢١)

لكنه يعلم علم اليقين، أنّ الهمّة العالية الخالصة لله، لا تودي إلا إلى طريق واحد، ألا هو طريق النجاح، وبالفعل نجح في مقصده، وأنقذ نفوسًا من النار، وأطلقها من نير الشرك إلى سماحة التوحيد والإسلام.

وهذه النملة الصغيرة التي لا تساوي شيئًا في موازين القوى، رأت جيشًا عرمرمًا يحثّ الخطى نحو أرضها، عندها أدركت النملة الخطر، وحددت مصدره ، وتبينت أوله من آخره، وهذا أول ما يحتاجه المجتمع الواعي بالأخطار.

عرفت بمخها الصغير أن وادي النمل لا قبل له بمواجهة هذا الجيش العرمرم، فقررت الانسحاب من دون مجابهة، وليس الرجوع للوراء مذمومًا دائمًا، فقد يكون نبوغًا وعلومًا، فانبرت النملة تقول في الحال من غير انتحال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: ١٨)

لم تتفلسف وتتقعقر في تقدير نوايا هذا القائد القادم من بعيد هو وجنده، بل تحملت على عاتقها ما تمليها عليها المسؤولية، فتصرفت بحكمة وموضوعية، وأخلصت النصيحة والروية، وتصرفت بما تمليه عليها الايجابية: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (النمل: ١٨)

فهذه نملة قامت وقالت، وأمسكت بالزمام وصالت، وتخلت عن تضخيم الأنا والذات، وحذرت قومها وفقًا لقدراتها، فكانت النتيجة سلامة وطنها، وقومها من الدمار والهلاك.

لله درها نملة حكيمة عاقلة، قالت وقامت، وصاحت وجالت، نفذت ما دار في خلدها من خاطر، وردأت به عن شعبها المخاطر.

الخاتمة

من نعم الله العظيمة على الأمم أن يكون خليفة الحاكم مثل سلفه في سياسته العادلة الرحيمة الحكيمة، وهذا ما تحقق لبني إسرائيل، فما أن مات الملك النبي العادل داود حتى ورثه ابنه سليمان – عليهما السلام – في المُلك والنبوة، فسار فيهم كما سار أبوه بالعدل والإنصاف والسياسة الحكيمة.

ورث سليمان ملكًا عظيمًا، وزاد الله ملكه عظمة وأبهة، بأن سخر الله تعالى له الإنس والجن والطير يأتمرون بأمره، ويعملون له الأعمال الخوارق، ولا يخرجون عن سلطانه.

ومع كامل طاعة الطير وجميع الحيوانات لسليمان كان يفهم لغتهم، وإن خاطبوه أحسن إجابتهم، فكان ذلك أثبت له في مُلكه وسلطانه.

كما وسخر له الريح العاصف والرخاء تجري له كما يشاء، وأسال له عين القطر (النحاس المذاب) متدفقًا يستخدمه في ما يشاء من بناء الحصون أو القصور أو صنع الأسلحة وغيرها، فَحُقّ لسليمان – عليه السلام – أن يكون مُلكه مُلكًا باهرًا فريدًا من نوعه، لم يبلغه أحد من الأنبياء لا من قبله ولا من بعده.

ولما كان فضل الله يؤتيه من يشاء، وهبّ الله تعالى سليمان الفهم والقضاء والعلم كما كان أبوه من قبل، فكان ذلك نعمة له ولبني إسرائيل.

وكان سليمان مع كونه ملكًا كان نبيًّا كريمًا إلى بني إسرائيل، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ومن كان هذا حاله ما كان له أن يرضى بوقوع الشرك في الأرض وهو حي يرزق، فما أن سمع بوجود ملكة وقومها

يسجدون للشمس من دون الله، إلا هبّ منتفضًا لإزالة هذا الشرك وهذه الوثنية، وإقامة الدين والوحدانية.

هكذا عاش سليمان ملكًا عادلًا، ونبيًّا كريمًا، حتى مات موتًا عجيبًا ما دلّ على موته إلا دابة الأرض أكلت منسأته (عصاه)، فخرّ أمامهم ميتًا فعلم الجميع موته، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

إبراهيم أحمد قشطة

قائمة المراجع

1. إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، بدون سنة نشر.
2. إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة الصفا، ٢٠٠٢ م.
3. إسماعيل بن كثير الدمشقي، مختصر تفسير بن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار التراث العربي للطباعة والنشر، ١٩٨٧ م.
4. زكريا الأنصاري، فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن، دار الكتب العلمية، 2003م.
5. عبد الرحمن ناصر السعدي، قصص الأنبياء، أضواء السلف، ٢٠٠٢ م.
6. عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.
7. محمد خليل هراس، دعوة التوحيد، مكتبة الصحابة، بدون سنة نشر.
8. محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، بدون سنة نشر.
9. محمد على الصابوني، النبوة والأنبياء، بدون دار نشر، بدون سنة نشر.

10. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، ٢٠٠٢م.
11. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار ابن حزم، 2002م.
12. محمد بن محمد أبو شبهة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ١٤٠٨هـ.
13. محمود بن خليفة الجاسم، السحر والإصابة بالعين في ضوء الكتاب والسنة، دار ابن حزم، 1993م.
14. يحيى بن شرف الدين النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، الدار الثقافية العربية، ١٩٢٩م.